مسرحيات عالمية

روميو وجانيت

تأليف: چان آنوى

ترجمة وتقديم: يحيى سعد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٢

مسرحيات عالمية

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مسرحيات عالمية

رقم ٧٤

روميو وجانيت

تأليف : چان آنوى

ترجمة وتقديم : يحيى سعد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
دار التأليف والنشر
١٩٧٢

مقدمه

« جان آنوى »

ولد « جان آنوى » فى يونيو من عام ١٩١٠ بمدينة « بوردو » من أسرة متواضعة فقد كان أبوه « ترزيا » وكانت أمه موسيقية . وقد تأثر تأثرا شديدا بالبيئة التى نشأ فيها فوصف حياة الموسيقيين والكادحين فى الحياة وظهر ذلك فى مسرحيـــات عدة ، كما أنه لم ينس أبدا الناعمين من الناس الذين حصلوا على نصيب من السعادة دون مقابل ، بينما يشـــقى الآخرون الذين يغوصـــون فى الوحل والذين يحبـــون ويكرهون ويعانون من آلام لا تصـــيب الا الفقراء التعساء .

لقد فهم « آنوى » منذ نعومة أظفاره أشياء كثيرة ، فهم كما يقول على لسان « تيريز » فى (المتوحشة) « ان الشر عند الأغنياء يصبح ملاكا شريرا يقاومونه بمرح لكى يمرنوا عضلاتهم ، وانهم ينتصرون عليه دائما ، وأن البؤس فرصة أمامهم ليثبتوا فيها مقدار طيبتهم فيما يقومون به من احسان .. وان العمل بالنسبة لهم ، ليس الا شيئا لذيذا يملئون به فراغ حياتهم ، وان الحب عندهم سعادة لينة الملمس لا تصادفها عقبات ولا شكوك » . ولكنه فهم أيضا أن السعداء من الناس لا يعرفون شيئا عن حياة التعساء وأن لا أمل فى أن يعرفوا شـــيئا فى يوم من الأيام ، لا ألوان الفقـــر

ولا الشـعور بالحطة والاستسلام والخزى والعـار ، ولا هذا العلم التعس الذى تلقنه الحياة للفقراء •

ولا شك أن انطباعات طفولته ما زالت تلازمه حتى الآن •

***

لقد هوى « آنوى » التمثيل وهو فى سن مبكرة ولكن نشاطه لم يتعد اقامة التمثيليات فى محيط أسرته المحدود • على أن الحدث الذى أثر فيه أشد التأثير ، انما هو مشاهدته لمسرحية « سيجفريد » ل « جان جيرودو » ، وقد ملأت نفسه بالمشاعر التى اعتملت فى أعماقه حينذاك ، وصمم أن يسلك الطريق التى سلكها « جيرودو » • ويبدو أن أدب « أندريه جيد » و « بول كلوديل » من ناحية أخرى قد ترك فى نفسه أعمق الأثر •

ألف « آنوى » للمسرح منذ عام ١٩٢٩ الذى ظهرت فيه « ماندارين » • وقد ذاق طعم الفشل فى البداية ، أما النجاح واليسر فلم يصل اليهما الا عام ١٩٣٧ عندما مثلت مسرحية « المسافر بلا متاع » التى كان لها الفضل فى أن تفرض اسمه على المسرح الفرنسى •

ونذكر من بين مسرحياته :

« ماندارين » التى ظهرت عام ١٩٢٩

و « ا مرقص اللصوص » فى ١٩٣٢

و « المسافر بلا متاع » فى ١٩٣٧ وهى نفس السنة التى نشرت فيها « اللقاء بسنليس »

و « القندسى » فى ١٩٣٨

و « أوريديس » فى ١٩٤١

و « آنتيجون » (التى مثلت عام ١٩٤٤) وهى من أروع ما كتب ٠

و « آرديل » أو « المارجريت » عام ١٩٤٥

و « الاعادة أو الحب المعاقب » فى ١٩٥٠

و « القنبرة » فى ١٩٥٣

و « بكيت » فى ١٩٥٩ وهى من المسرحيات التى أثارت ضجة كبرى فى السنوات الاخيرة (وقد ظهرت فى السينما أخيرا) ٠

والمعروف عن «آنوى» أنه لم يكف عن الكتابة للمسرح ففى كل عام تقريبا تظهر له مسرحية٠وقد أحرزت تلك المسرحيات شهرة عالمية ٠ لعل من أبرز أسبابها أنها تقدم لنا شخصيات نصادفها فى حياتنا تصور لنا الجانب المظلم من النفس البشرية وما ينتابها من ضيق وقلق ٠٠٠ وهو فى وصفه لها لا يقنع الحقيقة بل يبرز معالمها بصراحة مرة ، ولذا يمكن أن نقول عن عمله الفنى : انه « مفجع » ٠

ويمكن أن يعتبره بعض النقاد ــ فى هذا ــ امتدادا لواقعية « بلزاك » وطبيعية « زولا » ٠٠٠ كما أنه متأثر من ناحية أخرى بالوجودية في فرنسا ٠٠

مسرح « آنوى »

يعتبر « آنوى » و « أرمان سالاكرو » مع «بول سارتر» و « البير كامى » من أئمة المسرح الفرنسى المعاصر ٠ وكل من هؤلاء عالج المسرحية من زاوية خاصة ، وقد تختلف آراؤهم جميعا ولكنهم على أية حال يمثلون ــ مع « يوجين يونسكو » و « صمويل بيكيت » ما يسمى اليوم بالمسرح الطليعى ٠

وان كانت هناك أسماء ك « ساشا جيترى » و «موريس روستان » و « أندريه روسان » و « جورج نوفو » و «أندريه أوبيه » و « مارسـيل آشارد » قد لمعت فى سـماء المسرح الفرنسى المعاصر ، فانها على أية حال لا تمثل الحركة الريادية بمثل الأبعاد الفلسفية التى عالج بها « سارتر » و « كامى » و «آنوى» و «سالاكرو» المسرحية ، فهؤلاء قد تناولوا مشاكل الحياة من زوايا جـديدة لها أعماق يحـاول جيلنا أن يتبين أبعادها ٠

ان « سارتر » و « كامى » ــ بصفة عامة ــ يتفقان فى أن الانسان مسئول عما يفعله أولا وأخرا أما فى مسرح «آنوى» و « سالاكرو » فان القدر يبدو مسئولا عن كل ما يصيبنا فى حياتنا ٠ ولكن هناك شيئا نصادفه عندهم جميعا وهو شعور الانسان بعزلته فهو لا يجد سندا مساعدا لا من الخارج (أى من السماء أو المجتمع أو من أقرب الناس اليه) ولا من داخل

نفسه (فهو الذى يتسبب فى اتعاسها) • ونحن نلمس هذا المعنى فى المسرحيات الوجودية كما نلمسه عند « آنوى » و « سالاكرو » •

وشخصيات مسرح « آنوى » فى موقف دفاعى منذ البداية كما أنها جميعا تشعر بالرغبة فى النقاء والسعادة ولكن طبيعة الانسان انما تتعارض مع آماله ومن هنا كانت مأساته • ويعتبر هذا المسرح حصيلة من عواطف انسانية معقدة فهو تصوير قاتم لشخصيات تشعر بالضياع تتطلع الى هدف ولكنها تعجز تماما عن ادراكه ، أو هو بمعنى آخر تصوير للصراع بين طبيعة الانسان وآماله العريضة •

وأبطال مسرح « آنوى » لا يملكون القدرة على الرجوع الى الوراء ، فماضيهم انما يخيم على مستقبلهم ولذا يلجئون الى الفرار منه كما هى الحال بالنسبة الى «مارك» فى (ايزابيل) و « تيريز » فى (المتوحشة) و « لوسيان » و « جانيت » فى (روميو وجانيت) و « جاستون » فى (المسافر بلا متاع) و «جورج» فى (اللقاء بسنليس) و «أورفيه» فى (أوريديس) وفى أغلب مسرحياته •

ويجدر بنا الاشارة هنا الى تشابه تلك الشخصيات بكثير من أبطال قصص «أندريه جيد» (وهو من ألمع كتاب فرنسا فى القرن العشرين) الذين لا يجدون مجالا للتنفس الا فى الرحيل • وفكرة الرحيل (أو الهروب كما تسمى فى الشعر) نجدها فى كل قصص « جيد » وهو الذى قال فى « الرجل المتحرر من الخلق » (L'immoraliste) :

« ان الأسف وتأنيب الضمير والأسى ، تلك كلها ألوان من المتع عفا عليها الزمن ، اذا نظرنا اليها من وراء ظهورنا •

وأنا لا أحب التلفت الى الخلف ولذا أترك ماضى كما يفعل الطير ، فهو انما ينفصل عن ظلمه اذا أراد التحليق .. »

وأبطال مسرح « آنوى » كهذا الطير يهفون الى الانفصال عن ظلهم لكى يحلقوا بعيدا ولكنهم مقيدون به فيبقون متسمرين فى مكانهم لأن ماضيهم يمنعهم من رؤية المستقبل الا من خلال غيوم قاتمة .

وشخصيات « آنوى » التى سحقتها الحياة والتى يلازمها ماضيـــيها التعس كظلها تذكرنا بعبارة « جيد » الخالدة فى (مذكرات « اندريه وولتر ») :

« آه ! لم أعجز عن أن أكون ذلك الرجل ، ذلك الرجل الذى استطاع أن يبيع ظله !! »

ولنستعرض بعض هذه الشخصيات :

ان «تيريز» فى (المتوحشـــة) ، رغم حبها لخطيبها « فلوران » الذى يفتح لها بيته (وهو بيت السـعادة حيث الراحة والهناءة والعيش الرغد وحيث الحب والحنان والآفاق البسامة) ترحل لا لشىء الا لعجزها عن الانفصال عن ظلها وعن ماضيها . و «جاستون» بدوره فى (المسافر بلا متاع) الذى يهتدى أخيرا الى أبويه والى بيته ــ بعد أن فقد الذاكرة أثناء الحرب ــ يتنكر لماضيه ويريد الانفصال عن ظله ولـكن القدر له بالمرصـاد فهو يربطه بماضـيه بأغلاله الغليظة . وفى (لقـاء سنليس) أراد « جـورج » أن يتناسى ماضيه وحاول أن يعيش فى مجال خلقه من خياله مع أبوين مستعارين ولكنه وحبيبته يظلان مرتبطين بماضيهما التعس ويعجزان عن ادراك السعادة .

وليس القلق وتصويره بالشيء الجديد فهو يخيم على الأدب المعاصر ، ولكنه يتخذ مع « آنوى » مظهرا جديدا • فنحن نشعر بالقلق فى انتظار تحقيق رغبة من رغباتنا ، والشك من مصادر القلق بل هو أشدها جميعا • ولكن شخصيات « آنوي » تكاد لا تشك فى مصيرها ، بل يبدو أنها تثق كل الثقة فى أن مصيرها محتوم وأن لا أمل لها فى ادراك السعادة ، بل يبدو أنها تثق كل الثقة فى أن مصيرها محتوم وأن لا أمل لها فى ادراك السعادة ، بل ان الشك عندها انما يتركز فى احتمال أو عدم احتمال وجود السعادة ذاتها • والسير فى هذا السرداب المظلم انما يكون مقرونا بالتخبط ، ومسرح « آنوى » كهذا السرداب ، فكلما سارت فيه تلك الشخصيات زادت تخطبا وادراكا بحقيقة مصيرها القاتم ، فالمجهول هنا لا يبشر بخير وانما بكل ما تنقبض له النفس • ومنها من يسلك طريق الأشواك • (مثل « تيريز » فى المتوحشة) ومنها من يصبو الى الحياة فى الأحراش (مثل « لوسيان » فى « روميو وجانيت ») ومنها من لا يجد خلاصا الا فى الموت (مثل أبطال مسرحيتنا هذه) ولعل تلك الظلمة القاتمة هى التى أوحت للمؤلف بجمع مسرحياته فى مجموعات أسمى بعضها «مسرحيات سوداء» وأخرى «وردية» و «مسرحيات ساطعة » • أما اللون الوردى هنا فهو يكاد لا يكون الا سرابا أو بريقا يسطع وسرعان ما يزول •

وان كانت فكرة العجز والعزلة تسيطر على مسرح « آنوى » فهو لهذا السبب نفسه يصور عصرنا خيرتصوير ، فالقلق لم يسد عصرا كما ساد عصرنا هذا • وقد سبق لنا أن تكلمنا فى مقدمة « المتوحشة » (وهى ثانى مسرحية فى هذه السلسلة) عن دور القدر فى مسرح « آنوى » وقارنا بينه

وبين القــدر فى المسرح القــديم وقد بينا أن القدر فى ذلك المسرح كان يحلق فوق مصائرنا ، وكيف انه مع « آنوى » يقبع داخل نفوسنا فيمنعنا عن ادراك السعادة ، فشخصيات « آنوى » ضعيفة ولا سند لها فى مجابهة الواقع ، وهى ان كانت تتطلع الى الشعور بالبراءة ، مع أنها مذنبة ، فذلك انما يكون لرغبة منها فى التعويض .

ويتضح دور القدر وفكرة الرحيل ـ بشكل بارز ـ فى مسرحية « روميو وجانيت » ...

« روميو وجانيت »

يذكرنا هذا العنوان ب «روميو وجولييت» قصة شكسبير الخالدة • ولكن بطل « آنوى » انما يدعى « فردريك » لا « روميو » ، والاشارة مقصودة والربط بينهما متعمد ،لكأن المؤلف أراد أن يرمز منذ البداية الى حب خالد بين شاب وفتاة تفرق بينهما الحياة بتقاليدها ويجمع بينهما الموت • هذا هو المعنى الذى أراد المؤلف أن يؤكده بربط روايته بقصة شكسبير •

لقد فرق القدر بين « روميو » و « جولييت » فقد كان النزاع بين أسرة « كابيولت » و « مونتاجيو » على أشده ، وهاهو القدر فى قصة « آنوى » يفرق بين « فردريك » و « جانيت » لتنافى حبهما مع كل عرف ففرديك خطيب « جوليا » أخت « جانيت » بل ان « فردريك » فوق هذا نقيض فى كل شىء لـ «جانيت» فهو مثال للشرف والاستقامة بينما هى الفوضى المجسمة باستهتارها وبمعاشرتها الرجال علنا غير مبالية بسمعتها •

بل ان « جانيت » فى مسرحية « آنوى » هى النقيض لشخصية «جولييت» فى قصة شكسبير ولكن الشبه بينهما مع ذلك شديد فالبراءة تجمع بينهما • ان حب كل منهما برىء خالص لا أنانية فيه • وان كانت «جولييت» مثالا للطهر •• ف « جانيت » (رغم ماضيها) مثال للبراءة بدورها • ان

«جانيت» من سلالة مريم المجدلية • و «مارجريت» (فى غادة الكاميليا) و « المومس الفاضلة » لـ « سارتر » ولكنها تختلف عنهن فى صبيانيتها البريئة • ان حبها لـ « فردريك » (رغم ما فيه من خيانة لأختها ورغم منافاته لكل مبادىء الشرف) حب عميق لا تشوبه شائبة • وهى تحلق بهـــذا الحب فوق الحياة ، والمواصفات الاجتماعية ، والحواجز والسدود التى تعوق وتفصل بين المحبين •• وهو حب يدفعها الى أن تموت من أجله وهى تقول فى هذا المقام لحبيبها :

« ومع ذلك فأنا بعارى وكل ماضى ، والشر الـكامن فى قلبى ، أكاد أكون فتاة عذراء ، وأنا أمامك هنا فى تلك اللحظة ـ وهى حقيقة لن يتصورها الآخرون أبدا ـ انى أمامك كعذراء ولـكن بدون باقات من الزهور وبدون غلالة بيضاء على وجهى وبدون تلك البراءة التى تتحلى بها العذراء وليس ورائى أطفال يمسكون بذيل ثوب العرس ، فأنا خطيبة ملطخة بالسواد •• »

وفى موقف آخر تقول « جانيت » مؤكدة هذا المعنى :

« آه ! آه لو أنك أخرجت سكينك من جيبك وشـطرت قلبى ! لو أنك فعلت لرأيت كم هو نظيف ولرأيت كيف أن لونه الأحمر صاف لا تشوبه شائبة » •

وهى تصف هذا الحب بأنه أقوى من غريزة الأمومـة ذاتها فتقول :

« ليس ما أشعر به احساسا غريزيا مبهما يملأ جوانبى حتى ليدفعنى الى انجاب طفل يرضع من ثديى • انى أحبه هـو نفسه •• ولن أستشعر هذا الحب كلما تحرك طفل داخـــل أحشائى • ان ذلك الاحساس سيكون هو الأول والأخـير ••

سيكون الحب الذى يمتص جلدة بطنى فتلتصق بعظامى ، سيكون احساسا يدفعنى الى أن أضحى بدمائى كلها وبلبنى ان هو تدفق فى صدرى ٠

سوف تضحى «جانيت» بحياتها من أجل من تحب كما ضحت «جولييت» من قبل من أجل «روميو» ٠

بل ان هناك ظاهرة أخرى ملفتة للنظر ، فقد ربط الحب بين «روميو» و «جولييت» من أول لقاء رغم علمهما أن العداء بين أسرتيهما يحرم عليهما مجرد اللقاء ٠ وهذا ما يحدث ل «فردريك» و «جانيت» فالحب يدهمهما من أول لقاء ، بل قبل أن يحاول كل منهما أن يتعرف على الآخر (وهنا حتمية القدر وحتمية الرضوخ لأحكامه)

وقد يبدو الحب بين «فردريك» و «جانيت» عجيبا فهو يقوم على العذاب ، وينوب «لوسيان» (شقيق «جوليا» الخطيبة وشقيق «جانيت») عن المؤلف فى وصف هذا العذاب ويقول :

« ان هذا يؤلمنا فى بادىء الأمر ، أليس كذلك ؟ ونحن نتصور أن ليس فى امكاننا احتمال ما يسببه لنا هذا الحرج من عذاب ، ولدقيقة واحدة ، بل نتصور أن لا بد من أن نحطم شيئا ما ٠ ولكن ماذا عسانا نحطم ؟ ٠٠٠٠ ان اللحظة التى ندرك فيها ان ليس هناك ما يمكن أن نحطمه هى اللحظة التى نصبح فيها رجالا ٠

فى استطاعتنا أن نحيا على خير وجه مع عذابنا ٠ سوف ترى ، بمجرد أن تتعرف على حقيقة عذابك هذا ٠ سوف تتكشف لك خباياه وأسراره وسوف تتخصص فى معرفة أمراضه وفى التعرف على ما يحتاجه من غذاء يومى أو الى

مايمكن أن يزيد من حدته • بل سوف تصل بك الحال الى التعرف على أبسط الأنفاس التى يمكن أن توقظه من سباته وعلى ألوان الموسيقى التى تدفعه الى الاسترخاء والنعاس • نعم ، فيما بعد ، بعد مرور وقت طويل ، عندما تخرج من عزلتك ، وعندما ستتمكن من الكلام عن عذابك هذا مع الآخرين سوف تبدأ فى دعوتهم الى زيارته كما يحدث فى المتاحف •••••
والنتيجة هى أننا نهلك على أى حال ولكننا نهلك ببطء •

و «لوسيان » شاب هجرته زوجته وطعنته فى شرفه • وقد أفقدته تلك الصدمة ايمانه بالحياة وبكل القيم الانسانية ، بل أفقدته ايمانه بعدالة السماء ذاتها • ولقد أحس «لوسيان» بأن الحب الحقيقى شيء محرم علينا وأن السماء انما تثور كلما أردنا أن نلهو ب «لعبة الحب» فتلك اللعبة مآلها الفشل ، بل مآلها الهلاك المحتم • ويرى «لوسيان» أن العواطف الانسانية سراب وان الاخلاص والتضحية وكل تلك المعانى الجميلة انما صنعها الانسان من نسيج هزيل يخفى به ما بدخيلة نفسه ، وهو نسيج سرعان ما تمزقه التجربة فيبدو الشر الكامن فى أعماق البشر وتبدو الانانية والفردية البشعة التى تسود مجتمعنا المتمدين ولهذا يهفو «لوسيان» الى أن يلوذ بمجتمع بدائى ينسى فيه زيف المدنية وقسوة المتمدينين •

وكم يشبه « لوسيان » شخصية « أرمان » فى قصة «المزيفون» لـ «اندريه جيد» فهو بدوره لم يكن يفكر الا فى الرحيل الى الأحراش ليبعد عن كل مايخنقه فى حياته بباريس• وعندما يسأله صديقه «أوليفييه» :

ــ هل تفكر فى الرحيل ؟

يجيبه على الفور : ــ منذ غد ان لم يكن على أن أتقدم للتجنيد ٠

وفى رأى «أرمان» كما هو رأى «لوسيان» «ان كل شخص يمثل ، يقوم بدور ٠٠ مع تفاوت فى الصدق وفى الوعى ! وان الحياة ليست الا ملهاة ٠٠٠»

والشبه بينهما شديد فهما لايجدان للتنفيس عن كربهما الا حلا واحدا ، هو محاولة تحطيم كل المعانى المصطلح عليها ٠ و «أرمان» (فى «المزيفون») يقول لصديقه فى هذا المقام :

« هناك من يدركون حقيقة ما يملكون ، أما أنا فلا أدرك الا حقيقة ما يعوزنى من مال ومن قوة ومن ذكاء ومن حب ٠ أن بى عجزا وسأبقى هكذا دائما » ٠

لا مخرج اذن الا فى الهروب وهو المخرج الذى يراه « لوسيان » فى « روميو وجانيت » والذى يراه « آرمان » (فى المزيفون) ٠ والهروب هنا معنـــاه التغاضى عن كل ما يربطنا بالمجتمع والأهل والوطن ، والرحيل الى عالم لا تثقله القيود ٠٠

ولعل عبارة « بول دى جاردان » فى كتابه عن «بوسان» تؤكد لنا كيف أن هذا الشعور قد انتاب الكثيرين من شـــباب عصرنا ، فهو يقول :

«ليس فى رسائل «بوسان» أثر يوحى بالعرفان لأهله ٠ ولم يبد فيما بعد أسفا لافتراقه عنهم ٠ لقد استقر بارادته فى روما وفقد كل رغبة فى العودة بل قد يخيل للمرء أنه فقد كل رغبة فى الذكرى » ٠

ان « لوسيان » ــ وهو شخصية رئيسية فى مسرحيتنا

هذه ـ قد تحطمت كل العواطف الرقيقة فى نفسه ، وهو يأبى أن يغرق فيها قلبه أو قلب الآخرين فقد كفر بها جميعا ٠

وما أشد الشبه بينه وبين « الليدى جريفيت » أيضـا فى « المزيفون » لـ « جيد » حين تقول فى مجال وصف حادثة فوق باخرة عندما رأت فى قارب الانقاذ ملاحين يمسك أحدهما بلطة والآخر سكينا يقطعان بهما أصابع وأيدى بعض السباحين الذين كانوا يحاولون جاهدين أن يصعدوا الى قاربهم طلبا للنجاة :

« لقد أدركت ، بعد أن عدت الى صوابى ، أننى أصبحت امرأة أخرى ، فلم أعد نفس الفتاة العاطفية التى كنتها قبـل هذا الحادث ٠ لقد أدركت أنى تركت قطعة من نفسى تغرق مع الباخرة وأننى منذ تلك اللحظة قادرة على أن أقطع أصـابع وأبدى كثير من العواطف الرقيقة فى نفسى حتى لا تصعد الى وتغرق قلبى » ٠

و « لوسيان » بدوره ، بعد أن خانته زوجتـه ، أدرك وجوب قطع أيادى تلك العواطف الرقيقة التى كانت تملأ قلبه ٠

أما عن « الأب » فى « روميو وجانيت » فشـأنه كأغلب الآباء فى مسرح « آنوى » ، فهو مثال للأنانية ، يعيش لنفسه فى غمرة الحياة متجاهلا كل ما يدور حوله : هناء أولاده ومستقبل بناته ٠ انه بوهيمى يعيش فى عالم الفشـل ، يتعلق بالخمر لتنسيه فشله ، ينسج خيوطا من الحياة لا تمت الى الفضيلة ولا الى الرذيلة ٠

وأم «فردريك» تذكرنا هنا بعمة «فلوران» فى«المتوحشة» فهى مثلها امرأة تحب الفضيلة ، بل هى مثال للأم التى لاتفكر

الا فى مستقبل ابنها ، ولـكنها ، برغم فضائلها وطيبتها ، فان فهمها للحياة سطحى ولذا تبدو قاسية لعدم احساسهـا بآلام الغير ولأنها مثقلة بالتقاليد والحفاظ عليها ٠

أما «جوليا» ـ خطيبة «فردريك» ـ فمثال للنقاء والبراءة والصفاء والطهر والعفة والنفس المتعلقة بالمثـل الأعلى الذى تتطلع اليه الانسانية ، وهى تمثل الجانب الأبيض فى هـــذه المسرحية وفى الحياة ٠ ومهما صادفنا من عسر فى الوصول الى هذه المثل وتحقيقها فى الحياة فهى لاشك أمل الانسانية الـذى ننشده ٠

ويا ليت الشر لا يطغى على مثل هذه الانسانة الرقيقـــة الحالمة ٠ كم هو قاس على النفس أن نرى مثل هـــــذه النفس الساذجة تتعرض لآلام لم تخطر لها على بال وتفجع فى حبهـا للخير والحق والجمال الذى تعيش من أجله ٠

وهكذا كل من أراد نجاحا ـ أو ما يسميه جمهرة البشر بالنجاح ـ لا بد أن يتشبث بالواقع وأن يتثبت من الارض بقـدم ٠

المترجم : يحيى سعد

الشخصيات

١ **فردريك**	خطيب جوليا
٢ **جوليا**	خطيبة فردريك
٣ **جانيت**	شـقيقة جوليا وحبيبة فردريك
٤ **لوسيان**	شقيق جوليا وجانيت
٥ **والدة فردريك**	
٦ **والد جوليا**	
٧ **ساعى البريد**	

الفصل الأول

حجرة فسيحة فى بيت كبير مظلم ومهمل . الأثاث ردىء والحجرة غير منسقة . تفتح الحجرة (فى آخر المسرح) على ممرات مظلمة يستنتج ان بها مطبخا وحطام سلم . «شيش» الابواب التى تفتح على الشرفة مغلق . تفتح فتحة بسيطة في احد الأبواب ويدلف منها « جوليا » و « فردريك » وامه (وهما من أثرياء سكان الريف) الجميع يرتدون ملابس سوداء . واليوم يوم الأحد .

جوليا : لقد دأبوا على أن يتركوا كل شيء مفتوحا .

(تصيح).

أأنتم هنا ؟

(لا يجيبها أحد . يسمع صراخها من جديد بعد أن تختفى فى ظلمات الممرات التى بمؤخرة المسرح) .

أأنتم هنا ؟

(يبقى كل من «فردريك» وأمه واقفين على المسرح . تنظر الأم حولها ثم تقول أخيرا)

الأم : يبدو أنهم لا ينتظروننا .

(تعود «جوليا» عند نطق تلك الكلمات ونشعر بأنها خائفة . وتقول فى تلعثم) :

جوليا : ولكنهم ، مع ذلك ، قد تسلموا رسالتى ، هـذا مؤكد ، فقد أرسلتها بالبريد يوم الاثنين المـاضى ٠

(تتجه بعصبية نحو المنضدة وترفع عنهـا بعض مخلفـات الطعام التى تزدحم فوقها) ان ثلاثتهم فوضويون لا يعـرفون معنى النظام ٠

الأم : لقد أدركت ذلك ٠

(تنظر الأم من حولها ويبدو عليها القلق ٠ انها تقف منتصبة القامة ، متشحة بالسواد ، وهى ترتكز على شمسيتها وتسأل:

ــ أيمكننا أن نجلس ؟

جوليا : (فى اندفاع) :

بلا شك يا أماه ٠٠

(تتجه نحو مقعد وتختبره) ٠

لا تجلسى هنا فهذا المقعد محطم ، وهذا أيضا ٠ أما ذلك المقعد الصغير فهو متين ٠ لقد اشتريته من السوق قبيل رحيلى ٠٠ انه جديد ٠٠

(تمسك بالمقعد الصغير وهو بغير ظهر أو مساند)

لا فهو محطم بدوره ٠

الأم : (مازالت واقفة)

ماذا يفعلون بالمقاعد ؟

جوليا : لا أدرى ٠ انهم يقفون فوقهـا ويدفعونها فيرتطم بعضهـا بالبعض الآخر ٠

الأم : ولماذا يدفعونها حتى ترتطم ؟

جوليا : (تقول وهى تلقى بنظرة ملؤها اليأس الى «فردريك») .

لست أدرى وأنا أتساءل بدورى عن سبب ذلك .

فردريك : (يقول مؤازرة لجوليا فى هذا المأزق)

وما شأنك أنت بكل هذا يا أماه ؟

الأم : لا شأن لى به ولكننى أريد الجلوس .

(ينظر كل من « جوليا » و « فردريك » من حولهما . تكاد « جوليا » تفقد صوابها ، يتجه « فردريك » نحو مقعد وثير يختفى تحت قطعة من البياضات) .

فردريك : ها هو ذا مقعد وثير ..

(يجربه ثم يحمله ويقدمه لأمه) .

انه مقعد متين .. اجلسى يا أماه .

(تجلس الأم بعد أن تتأكد من متانة المقعد وتقول أخيرا ، تحت وطأة نظرات « جوليا » القلقة) .

الأم : الساعة الثانية عشرة ظهرا الا عشر دقائق .

جوليا : (يزداد احمرار وجهها من الخجل ــ ان كان يمكن أن تزيد تلك الحمرة عما هى عليه الآن) نعم لست أفهم شيئا من كل هذا .

(تسرع « جوليا » لتحمل لفافة البياضات التى قذف بها فردريك على الأرض ، ونراها تدور حاملة حملها هذا حول القاعة ، دون أن تجد مكانا تخبئه فيه . مازالت تتكلم) انهم يعرفون تماما .. أن القطار يصل فى الحادية عشرة .

فردريك : ربما توجهوا الى المحطة لمقابلتنا وسلكوا طريقا آخر .

جوليا : لا ، فهم يســلكون عادة طريق الخليج الرملى عندما ينحسر البحر ، ولو أنهم فعلوا لقابلناهم •

الأم : على أى حال لو أن أباك وأخاك جاءا لمقابلتنــا بالمحطة ، فان الواجب كان يقتضى أن تبقى أختك لاعداد طعام الغداء •

جوليا : (وهى مازالت تدور حاملة لفافة البياضات) •

بألتأكيد • كان هذا واجبها ، ولست أفهم معنى ما حدث •

الأم : ربما لم يكن هناك غداء يســتوجب الاعداد • هل ذهبت الى المطبخ ؟

جوليا : نعم يا أماه • ليس به أى شىء •

(نجحت « جوليا » أخيرا فى اخفاء البياضات فى صوان حجرة الطعــام « البوفيه » وهى الآن تلتصق بمصراعيه كمن أتى جرما ، ولكن الأم لم تلحظ شيئا) •

فردريك : (يبتسم لما يراه على محيا « جوليا » من علامات الذعر ، ويقول ليصلح الموقف) ربما كان فى نيتهم أن يصــطحبونا الى المطعم •

جوليا : (وقد زادت تعاستها)

ليس هناك مطعم بالقرية وكل ما يوجد بها محـــل للبقالة يستعمل كمشرب •

الأم : سوف نضطر اذن الى عبور الخليج فى الاتجاه العكسى •

(يمر بعض الوقت ثم تردف موضحة)

الساعة الثانية عشرة الا خمس دقائق •

جوليا : (فى تلعثم) ٠

٠٠٠٠ اقصد أن البحر فى حالة مد الآن وربما كان هناك بعض الخطورة فى سلوك ذلك الطريق فربما اضطررنا الى المرور من الطريق العام وهو طريق طويل ٠

الأم : آهو أطول بكثير ؟

جوليا : (بعد شيء من التردد) ٠

نعم فهو يبلغ ضعف طول الطريق الآخر ٠

(لا تجيب الأم على تلك الملاحظة الأخيرة التى تصدمها ٠ يسود المكان سكون فظيع ٠ تدير الأم نظرها من حولها ٠ وتبدأ « جوليا » فى تنسيق الغرفة من خلف ظهر أم خطيبها ثم تنخرط فى البكاء عندما تلحظ الأم وهى تنظر الى أسفل فتصطدم شمسيتها ببعض بقايا الطعام الفاسد على أرضية الحجرة ٠ تسرع الفتاة فتمسك بمكنسة وتشرع فى الكنس بعد أن تلقى بقبعتها بعيدا ــ كيفما اتفق) ٠

جوليا : آوه ٠ أنا أحب الكنس

الأم : انك تحسنين صنعا فهناك حاجة ملحة الى ذلك ٠

فردريك : (وقد اشفق على « جوليا » ، يتجه الى والدته ويقول)٠ سوف أساعدك يا « جوليا » أما أنت يا أماه فأرجوك أن تتركى سمات القضاة التى ترتسم على محياك ٠ أرجوك أن تذهبى الى محل البقالة وأن تشترى بعض علب الطعام المحفوظ للغداء ٠

الأم : (وقد رفعت عينيها الى السماء)

أتأكل طعاما محفوظا فى يوم عيد الخامس عشر من أغسطس؟

جوليا : (تخطو خطوة الى الأمام)

انى آسفة كل الأسف يا أماه . لست افهم معنى لما يجرى هنا . لا تزعجى نفسك . سوف أذهب أنا الى محل البقالة.

الأم : لا يا « جوليا » اننا فى أشد الحاجة اليك هنا فربما وجدت اناء وبعض الماء ان أنت نقبت وبحثت بعناية . سوف أشترى بعض المكرونة .

فردريك : فكرة عظيمة . احضرى لنا فطائر وبعض الجمبرى المحفوظ وقليلا من الزبد والمربى . لم نأت ذنبا حتى نعاقب بحرماننا من الطعام .

الأم : (وهى على عتبة الباب) .

وهل أشترى طعاما لهم ؟

جوليا : (بألم) .

لا أعرف .. فأنا لا أعرف مكانا آخر يمكن أن يتناولوا فيه غداءهم .

الأم : لعلهم قد تصوروا أننا نحن الذين ندعوهم الى رحلة خلوية.

فردريك : (وهو يدفعها برفق الى الخارج) : اسرعى يا أماه . سوف نعد المائدة فى تلك الأثناء .

(تترك « جوليا » مكنستها بعد خروج الأم وتنهار على مقعد وهى تجهش بالبكاء ثم تقول فى أنين) .

جوليا : كنت أتوقع ذلك . كنت أتوقع منهم ذلك . انهم لفى منتهى الفظاعة .

فردريك : أتعتقدين أنهم تسلموا رسالتك ؟

جوليا : أنا واثقة من ذلك •

فردريك : معنى ذلك اذن انهم لا يريدون استقبالنا •

جوليا : ولا حتى هذا • لقد خرجوا هذا الصباح واتجه كل منهم الى ناحية معتمدا على أن يتكفل الآخران بالقيام بهذا الواجب•

فردريك : وهل تفعل أختك هـــذا بدورها ؟ هل اعتـاد الرجلان مساعدتها فى أعمال البيت ؟

جوليا : (تبدى حركة تدل على الأسى ثم تقول باكية وهى تشــير الى الفوضى المنتشرة حولها) ها أنت ترى •

(ينفجر فردريك ضاحكا)

جوليا : أوه لا تضحك • لا تضحك • انى أشعر بالخجل •

فردريك : ولم تشعرين بالخجل ؟

جوليا : لقد أخفيت عنك الحقيقة • كنت أتصور امكان اخفائها • لم أصرت والدتك على حضورنا ؟ لكأن الضرورة كانت تقتضى أن تطلب يد من كانت مثلى • لو لم نحضر الى هنا لأمكننى اخفاء تلك الحقيقة •

فردريك : اخفاء أية حقيقة يا « جوليا » ؟

جوليا : كل ما يشعرنى بالخجل • كل تلك الأشياء •

فردريك : (مبتسما) أهم يشعرونك بالخجل الى هذا الحد ؟

جوليا : منذ نعومة أظفارى •

فردريك : وما هى تلك الأشياء العجيبة التى يتميزون بها ؟

جوليا : سوف ترى كل شىء عما قليل •

(تنفجر فجأة قائلة فى غيظ)

لم يعدوا طعام الغداء • بل ولم يبالوا بكنس البيت • لقد
رحل كل منهم الى حال سبيله وسوف يعودون فى أية ساعة
مرتدين أية ملابس تكون يدهم قد وقعت عليها ، بينما تكون
أمك هنا فى انتظار الطعام دون أن تتناول شيئا

فردريك : لا تبالين بأمرها فهى الآن عند البقال تشترى ما يلزم
من الطعام •

جوليا : كان الأمر يهون لو أنى لم أنبههم ولكنى وضحت لهم الموقف
فى رسالتى فقد قلت فيها •• « أنا حاضرة مع خطيبى ومع
حماتى المستقبلة ويجب أن تعدوا وجبة غذاء فاخرة » وقد
أرسلت لهم فوق هذا نقودا •

فردريك : لعل من عادتهم أن يتناولوا غداءهم فى ساعة متأخرة •

جوليا : لم أجد فى المطبخ الا قليلا من اللبن الفاسد وكسرة خبز
جاف أدركه العفن • وا أسفاه على نقودى • انى أعرف تماما
أين ضاعت نقودى تلك •

فردريك : يا لجوليا المسكينة •

جوليا : لقد أوضحت لهم الأمر فى رسالتى وقلت فيها بالحرف
الواحد : « نظفوا البيت حتى لا أشعر بالخجل فان حماتى
تحب النظام » وها أنت ترى •

فردريك : سوف نرتب كل شىء معا ، انهضى •

جوليا : (تصرخ قائلة وهى تجهش بالبكاء) لا • أريد أن ألقى
بنفسى على الأرض وأن أترك لدموعى العنان •

فردريك : جوليا •

جوليا : أريد أن يجدونى على الارض عندما يعودون ، وأن يروننى هكذا مستلقية بين قاذوراتهم التى ألقوا بها منــذ ثمانية أيام ، وحماتى وخطيبى يحيطان بى · أريد أن يشعروا بالخجل ولو مرة واحدة بدورهم ·

فردريك : انهضى يا « جوليا » ·

جوليا : وعلى أية حال فهم لن يشعروا حتى بالخجل · أنا أعرفهم حق المعرفة · ان هذا الأمر لا يعنيهم فى قليل أو كثير فهم لا يبالون بشىء على الاطلاق ·

(لقد نهضت)

أترى ؟ لقد أردت أن تتعرف عليهم وســوف تعجز عن أن تحبنى الآن ·

فردريك : (ضاحكا) لقد حدث هذا فعلا · لم أعد أحبك ·

جوليا : (قد ألقت بنفسها بين ذراعيه) أؤكد لك أنى لست مثلهم·

كنت فى طفولتى أكنس البيت وأنظف وألمع كل شىء ، بينما كانت أختى تنظر الى محاسنها فى المرآة · أنا التى كنت أجبر والدى على حلاقة ذقنه ولبس ياقة نظيفة · ســـوف تراه ، سوف تراه لن يكون حليق الذقن ·

فردريك : من يدرى ، فاليوم هو عيد الخامس عشر من أغسطس ·

جوليا : انه لا يبالى بكل هذا ، لا بالأعياد ولا بأيام الآحاد · ان تلك المناسبات فى نظره لا تختلف عن باقى الأيام · كلهم كذلك لا يأبهون بشىء ، لا يأبهون بما يأكلون فهم يأكلون أى شىء ولا يأبهون بمواعيــد الطعــام فأى ساعة تناسبهم ولا يبالون بالقذارة · ان ما يهم والدى هو لعب الورق مع

أصدقائه بالمشرب · أما هى فهى لا تبالى بشىء طالما استطاعت أن تجرى على الرمال فى الغـابات وأن تنعم بالدفء فى الشمس طوال النهار ، وليكن ما يكون ، حتى ولو كان البيت يعج بالفوضى ·

فردريك : وماذا تفعل فى الشتاء ؟

جوليا : انها تدخن السجائر وهى راقدة،هناك على ماتسميهأريكتها وهى تحيك لنفسها قبعـات وأثوابا من أى قماش بال تقع عليه يدها ، كمـا كانت تفعل فى صـغرها · يا لقبعاتها ولأثوابها تلك · ان لها العجب ·· لا يملك هؤلاء النـاس نقودا واذا حصلوا على شىء منها أنفقوه فى التو واللحظة · انها تحيك أثوابها من قطع الستائر القديمة · وعندما تنتهى من حياكتها سرعان ما تتساقط عليها البقع أو تتمزق ، ولكن لا قيمة لكل هذا فى نظرها فهى لا تبالى ان كان النـاس سيرون ظهرها أو ركبتيها من خلال ثقوب أثوابها وجواربها ·

فردريك : جوليا · أتكونين قاسية القلب اذن ؟

جوليا : أعرف أنك تشمئز من كل تلك الأشياء وأعرف أن كل ذلك يتعسك ··

فردريك : (برفق) ولكنى لا أتزوج أختك ·

جوليا : انك تسخر منى أحيانا وتقول انى مصابة بداء النظـافة واننى كالنملة فأنا أسرع الى التقـاط قصاصات الورق من الأرض وأغالى فى الفرك والحك عندما أكتشف بقعة من البقع والسبب فى ذلك هو شعورى الدائم بأن هناك شيئا يجب أن أنسقه أو أن هناك شيئا يجب أن أنظفه لهم ·

فردريك : وأخوك ، ماذا يقول عن كل هذا ؟

جوليا : لم يكن مثلهم فيما مضى ولكنه منذ انفصل عن زوجته ليقيم هنا أخـــذ يفعل مثلما يفعلون انه يحبس نفسه فى غرفته ولا يكف عن القراءة طوال النهار ، وهو بدوره لم أعد أحبه الآن • كان فيما مضى ولدا كالآخرين : كان مجتهدا وكان الأول فى فرقته بالمدرسة وكانَ تواقا الى كسب المال ، أما الآن فكأنه قد انتقل معهم الى الناحية الثانية وراء ذلك الباب الذى يفصل بينى وبينهم فهو ينظر الى كما تفعل هى • لم يعد يتقبل شيئا من الحياة ، وليس الذنب ذنبنا ان كانت زوجته قد تنكرت لحبه •

فردريك : وماذا كان حال والدتك عندما كانت على قيد الحياة ؟

جوليا : (وقد تقلصت عضلاتها كالجمبرى ، تقول فجأة) والدتى لم تمت • لقد كذبت عليك فقد هربت فى رفقة طبيب أسنان متجول • كان من هؤلاء الذين ينزعون أسنان النـاس فى الميادين العامة على نغمـات الموسيقى ، وممن يضعون فوق رءوسهم قبعات عالية •

(صمت قصير)

ها أنا قد اعترفت لك حتى بذلك • وسوف تكرهنى الآن •

فردريك : (وهو يحتضنها) يا مجنونتى ، يا مجنونتى الصغيرة العزيزة •

جوليا : لن أتمكن أبدا بعـــد الآن من النظر اليك ومن مجـابهة نظراتك •

فردريك : سوف يكون هذا التصرف منك مريحا طوال تلك السنين الخمسين التى أمامنا ، فهناك خمسون عاما يمكن أن نعيشها معا ان صادفنا قليل من الحظ •

جوليا : أوه ٠٠ أتعتقد يا « فردريك » انك ستحبنى بالرغم من كل ما عرفته عنهم ؟ ألا ترى ان من الأصوب أن نرحل فى الحال ؟ انى أشعر بخوف عظيم ٠

فردريك : (وهو يحتضنها) مم تخافين ؟ انى هنا للدفاع عنك ٠

جوليا : لست أدرى فأنا أخشى وجودك هنـــا بالذات ٠ انك فى غاية الصفاء وأنت تختلف عنهم كل الاختلاف فأنت مثـــال النقاء وربما تصورت أنى على شاكلتهم ؟

فردريك : (وهو يحتضنها بقوة) أنا أعرف نملتى خير المعرفة ٠

جوليا : نملتك سوف تموت من شدة الخجل ٠

فردريك : لا ، فالناس لا يموتون من الخجل ٠

جوليا : انك تقول هذا كما قلت من قبل ان الناس لا يموتون من الحب ٠ ومم يموت الناس اذن ؟

فردريك : انى أتساءل بدورى ولا أجد جوابا ٠

(يعانقها ٠ هنا يظهر « لوسيان » على عتبة الباب بعد نزوله من الطابق الأول ٠ ان ياقته مدلاه وهو يمســـك بكتاب ٠ ينظر اليهمـــا وهما يتعانقان دون أن ينبس بكلمة ٠ وفجأة تراه « جوليا » وتبتعد عن « فردريك ») ٠

جوليا : كيف ؟ أكنت هنا ؟

لوسيان : حظى أن أكون حيثما يتعانق الناس وكأن الأمر مقصود مرتب ٠ فمنذ أصبحت زوجا مغفلا مخدوعا لا أخطو خطوة الا وصادفت الحب ٠٠ وأنا أشمئز ممن يتعانقون ٠ وهـذا أمر طبيعى ٠ ولكنى أرى المتعانقين فى كل مكان ٠ وعلى أية

حال استمرا فى عناقكما ولا تتحرجا من وجودى . لقد كذبت عليكما فان ذلك الأمر فى الحقيقة يطيب لى ، اذ يشعرنى بسعادة قاتمة ، فأنا أحدث نفسى عندئذ قائلا : عجبا . هاهم اثنان لم يعد أمامهما الا القليل ليستمتعا بالحب » .

جوليا : أهذه طريقتك فى تحية الناس ؟ لقد جئتك بخطيبى وأنت لا تعرفه . أهكذا تحييه ؟

لوسيان : (فى لهجة باردة كالثلج) أسعدت صباحا يا سيدى .

فردريك : (يمد له يده) أسعدت صباحا .

لوسيان : (فى لهجة من يبدى ملاحظة) انه مهذب فهو يمد يده للتحية ويبتسم فى رقة .

فردريك : لقد اعتدت تحية أمثالك فقد عرفت شبيها لك بالجيش .

لوسيان : أكان زوجا مغفلا مخدوعا ؟

فردريك : لا بل رجلا ساخرا ..

لوسيان : ألم تتمكن بابتساماتك وبتحياتك الصريحة المرحبة ، أن تصلح من شأن هذا الساخر وأن تخفف من حدة سخريته ؟

فردريك : لا ، ولكنى اعتدت سخريته وأصبحنا خير صديقين .

جوليا : أسمعتنى وأنا أنادى منذ قليل ؟

لوسيان : نعم .

جوليا : وبالطبع لم تحرك ساكنا ؟

لوسيان : هـــذا غير صحيح لقد تحركت فعلا عندما سكتت أصواتكم اذ تصورتكم قد رحلتم بعد أن أدرككم اليأس .

وقد تحركت أيضا لأنني شـعرت بالجوع • أتعتقدين أننا سنتناول اليوم غداء ؟ •

جوليا : غداء ؟ آه ، لنتكلم عن الغداء أين الآخران ؟

لوسيان : (وهو يأتي بحركة فيها تساؤل) •

لا يمكن أن يعرف المرء أبدا مكان الآخرين •• بل انه ليعجز عن معرفة مكانه هو نفسه في هـذه الدنيا ألست من رأيي يا سيدى العزيز ، يا من يبدو أنه رجل متعلم كما يقولون ؟ انى معجب بك أشـد الاعجاب فانت تبدو صريحا شريفا ، أمينا ، مقداما صافى النفس ، وكذا وكذا •• أنت كالجندى الباسـل انك تصلح لأن تصبح خـير الأزواج المغفلين المخدوعين •

جوليا : (تصرخ) لوسيان !

لوسيان : سوف تصبح مغفلا مرحا • وهؤلاء خير المغفلين أما أنا فانى مغفل حزين النفس •

جوليا : (وقد اتجهت اليه وأخذت تهزه بعنف) لوسيان • أتتصور نفسك ظريفا ؟ ان النفس لتشمئز منك • تتصور أن ما تقوله شيء طريف بينما هو سخيف ، بل أسخف ما يمكن أن يقال• انك جربوع حقير ، بل أحقر من رأيت •

لوسيان : لست جربوعا حقيرا ولكنى زوج مغفل يشعر بالتعاسة •

جوليا : (وقد أمسكته من ذراعه) حسن ، سواء كنت تشعر أو لم تكن تشعر بها ، أقسم لك أنى سأسكتك •

لوسيان : ألم يعد للمرء الحق في أن يشعر بالتعاسة في هذه الأيام ؟ هل أصبحت السعادة شيئا اجباريا ؟ ان هذا لمضحك •

جوليا : أنسيت أننى تلك التى كانت تمسح أنفك عندما كنت صغيرا والتى كانت تغسل قدميك القذرتين والتى كانت تعطيك ملعقة الدواء ؟ انى أعرفك حق المعرفة · لست الا ولدا قذرا ، ولكنك لست بتلك القسوة التى تريد التظاهر بها · اصغ الى اذن : كونك قد تعذبت ، وان « دنيز » هجرتك ،ليس سببا فى أن تمنعنى من محاولة اسعاد نفسى لقد صحبت خطيبى وأمه الى هذا البيت لأخبركم بأننى انتويت الزواج · ان « فردريك » أفضل منك وأفضل منى وهو يفهم كل تلك الأشياء · ولكن أمه سوف تعجز عن فهم دعابتك هذه حتى لو شرحنا لها الأمر وأفهمناها أنك تشعر بالألم · انها من هؤلاء النـــاس الذين يتألمون فى سكون · ولذا حاول أن تبدو نظيفا عندما تحضر ، وأن تمشط شعرك وأن تتصرف بطريقة لائقة ·

(تقول له فجأة بلهجة تستدر الشفقة)

انى أتوسل اليك يا لوسيان · أتوسل اليك ألا تقضى على سعادتى ·

لوسيان : (برفق) اذا طلب منى الناس شيئا برقة عجزت عن رفض طلبهم · سوف أشرع فى ارتداء ملابسى حالا (يقول لفردريك وهو واقف عند عتبة الباب)

انك لمحظوظ · ان تلك الفتاة طيبة · انها مملة متعبة ولكنها طيبـــة · (يخرج)

فردريك : يا للمسكين · لاشك أنه تألم كثيرا ·

جوليا : ان النفس لتشمئز منه ·

فردريك : بل هو ظريف ·

جوليا : يا لشهامتك · انك دائما أقوى من الآخرين وكل شىء

يضحكك كما أنك تجد عذرا لكل هفوة ، أما أنا فقد كنت أفضل أن يكون لى أخ مهذب ٠

(هنــا تدخل أم فردريك ووالد جوليا وذراعاهما محملتان بعلب المأكولات المحفوظة يقوم الأب بحركة مسرحية ويقول)

الأب : كان موقفا مسرحيا عجيبا ٠٠ لقد تقابلنا عند البقال كنت أتقارع الكئوس مع « بروسبير » وفجأة قال لى : انظر الى تلك التى دخلت ، فرأيت الثوب الحريرى والشمسية وهتف فى نفسى هاتف فانتصبت واقفا وصحت قائلا : « أيتهــا الحماة الجميلة ، يسعدنى أن أقدم لك نفسى ٠ وهذه طريقة من طرق التعبير ليس الا فقد قدمت نفسى لها بنفسى وفتح كل من كان بالمشرب عيــونهم وظلت تلك العيــون فاغرة مستديرة كالأطباق ٠

(موجها حديثه لجوليا)

يؤسفنى أن اضطررت أن أتركها تدفع ثمن العلب المحفوظة اذ لم أكن أحمل سنتيما واحدا ٠ أرجوك يا ابنتى أن تردى اليها ثمن كل هذا ٠ بلى ، بلى ، أنا الداعى ٠ يا سيدى العزيز انى سعيد بلقائك ٠

جوليا : ان والدى ثرثار ٠

الأم : (وهى تضع علب المأكولات) لقد تكهنت بهذا ٠

الأب : ولكن ماذا هناك ؟ ألم تعد المائدة بعد ؟ ألم يثلج النبيذ ؟ ألم تنتهوا من اعداد الطعام ما معنى هذا ؟

جوليا : كنت بصدد أن أسألك عن هذا يا أبى ٠

الأب : تسألينني عن هذا ؟ تسألينني أنا ؟

(يصيح بصوت جهورى)

أين « جانيت » ؟

جوليا : كنت على وشك أن أسألك عن سبب تغيبها كذلك ٠

الأب : ان هذا لمزعج حقا ٠

(يلتفت نحو الأم ويجلسها على الأريكة فى حركة رشيقة ثم يقول فى لهجة مختلفة تماما)

أرجو المعذرة ٠ كم أنجبت من الأولاد يا سيدتى العزيزة ؟

الأم : أحد عشر لم يبق منهم الا ثمانية ٠

الأب : (بحركة تدل على العجب) لم يتبق الا ثمانية ؟ اذن لنغفل الآخرين ٠ معنى هـذا أنه قد تبقى لك سبع قطع غيـار ٠ لابد ان هذا يثلج صدرك ٠ أما أنا فلم أنجب الا ثلاثة فقط لا أجد منهم أحدا عندما أكون فى حاجة اليهم ٠

(يصيح بصوت جهورى)

أين لوسيان ؟

جوليا : انه فى غرفته ٠

الأب : أما ترين ؟ لقـد فقدت الأمل ولم أعد أسـتطيع شـيئا حيالهم ٠ لم أعد أجد أحدا منهم ولم أعد أستطيع حتى ان أنادى عليهم ٠ أما أنت فالمجـال أمامك عـريض ويمكنك الاستمرار فى البحث عنهم ٠ لقد أصبحت وحيدا ، وهذا أمر محزن بالنسبة الى كهل مثلى ٠ ولكن من حسن الحظ أن مازال أمامي تلك الفتاة ٠ انها العصا التى سأتكىء عليها

فى شيخوختى • ولكن الآن ، اذا ما تزوجت ابنك فسوف تصبح عصاك أنت • وسوف يصبح لديك تسعة ، تسعة من العصى • ماذا اذن يا فتاتى ؟ أتعنين بكل شىء ؟ هل ستعدين لنا غذاء طيبا ؟

جوليا : (فى لهجه صارمة) •

هل لديك بعض النبيذ ؟

الأب : (فى تواضع) •

حم !! سوف أخبرك بالحقيقة •• عندى ما يلزم لتثلجه • لا أدرى كيف سها على •• وعلى أية حال كان ذراعاى مثقلين ••

فردريك : (ضاحكا) لا تقلق بالك ، سوف أذهب لاحضار بعض النبيذ • تشجعى « يا جوليا » •

الأب : (وهو ينظر اليه أثناء خروجه) ان هذا الولد لطيف جدا ، أهنئك يا سيدتى •

(يتمدد على أريكة)

اذن يافتاتى ، هل أنت سعيدة برؤية والدك العجوز ؟

جوليا : (التى تحمل علب المأكولات المحفوظة الى المطبخ) كان يسعدنى حقا أن أجد المائدة معدة والبيت نظيفا •

الأب : (وهو يغمز بعينه للأم) لا تصدقيها فهى لا تعنى كلمة واحدة مما نقول • انها فى منتهى السعادة فان لها قلبا من ذهب ••

(يلتقط شيئا ما من على الأرض ويدفعه تحت الأريكة)

ليس هذا البيت على أية حال بالقذارة التى تتصورونها ، ان هناك بعض قصـــاصات الورق • اما عن الغبار فلا داعى لذكره اذ لاجدوى من كنسه فهو يعود كل يوم من جديد • وهنـــاك خرقة بالية ملقاة على الأرض •• ان ما يبدو أنه فوضى ، ليس فوضى بالمعنى المفهوم وانما بعض الظـــلال • أنا فنان عجوز ولابد لى من بعض ظلال من حولى •

الأم : (تنهض) سوف أعد المائدة •

الأب : هذه فكرة طيبة • سأساعدك وسوف يعيدنى ذلك الى أيام شبابى • كنت أعد المائدة دائما عندما كنت فى العشرين من عمرى وكنت أفعل ذلك لأغازل الخادمة •

الأم : أين الأطباق ؟

الأب : لا أعرف ، فهى مبعثرة هنا وهناك •

الأم : كيف لا تعرف ؟ ماذا تفعل عندما ترغب فى الأكل •

الأب : ابحث عنها • هاهى ثلاثة منها ولكنها قذرة • ولكن هـذا لا قيمة له ، ليس بها الا بعض بقايا الجبن • واذا ما أزلنا تلك البقايا الجافة لم يبق لها أى أثر •

(تنتزع الأم الأطباق من بين يديه وتتجه نحـو المطبخ وهى تصيح فى وجهه)

الأم : ابحث لى عن أطباق أخرى •

الأب : سوف أبذل قصارى جهدى أيتها الحماة الجميلة •

(يشرع فى البحث للحظة قصيرة ثم يكف فجأة يائسا ويتمدد بطوله على الأريكة ويسحب سيجارا من جيبه ويقضـــم طرفه وهو يقول من بين أســـنانه فى لهجة شـاكية) ابحث عن أطباق أخرى •• ابحث لى عن أطباق أخرى • ليست بالمرأة

المريحة ، فهى تلقى بالأوامر بتسلط وتعال · ياللأسف !
فهى امرأة على قدر وافر من الجمال ··

(تعود الأم وتجده مستلقيا على الأريكة فتلقى اليه بنظرة صارمة كالصاعقة ولكنه يقاوم نظرتها فيما يشبه التصوف ويستمر فى التدخين فى هدوء · وعندئذ تقبض المرأة بقوة على مكنسة وتشرع فى كنس المكان من حوله)

الأب : (بعد لحظة سكون) أتعرفين ؟ أنا رجل متفائل · فمبدئى هو أن المشاكل تحل نفسها بنفسها آخر الأمر ·

الأم : (فى لهجة لاذعة) نعم عندما يتكفل الآخرون بايجاد حل لها·

الأب : نعم ، لك حق فيما تقولين فقد لاحظت أن الآخرين عندما يتعهدون بايجاد تلك الحلول انما يفعلون ذلك عن طيب خاطر · انى لأعجب لكثرة هؤلاء الذين يصممون على ايجاد الحلول ، مهما كلفهم ذلك من ثمن · ان عددهم لوفير على كوكبنا هذا ولو لم يكن هناك أمثالنا من الفلاسفة الذين يفضلون أن يعيشوا هكذا فى هدوء ، لتعثرنا جميعا فى هذا الكون الضيق ·

الأم : (تتوقف فجأة عن الكنس وتقول) انى أملك فى بلدتى أربعة مزارع ، هذا غير البيت الذى أملكه بالمدينة وقد عين ابنى مسجلا للعقود وسوف يكون له مكتبه الخاص فى يوم من الأيام · لعلك تتساءل عن السبب فى أننى أوافق على زواجه ب « جوليا » التى لا تملك شروى نقير ·

الأب : أنا ؟ انى لم اتساءل ، بل انى لسعيد بذلك ·

الأم : « جوليا » فتاة طيبه مجتهدة ، وهى شريفه ومدبرة ·

الأب : انها صورتى طبق الأصل ·

الأم : عمتها صديقتى منذ خمسين عاما وقد أكدت لى أنها ستورثها كل ما تملكه بعد موتها ·

الأب : يا « ايرما » المسكينة · كيف حالها ؟

الأم : انها فى خير حال · وأنا أعلم أنك لا تملك سنتيما واحدا يمكن أن تعطيه لها ·

الأب : (وهو يقفز) اعطيه لايرما ؟

الأم : لا ، لا بنتك ·

الأب : (فى لهجة قاطعة) أنا يا سيدتى من أنصار زيجات الحب · حقا ان تلك الزيجات مآلها دائما الفشل ولكن ، حتى تصل الى درجة الفشل ، فهى على العموم أقل سوءا من الزيجات الأخرى بضع سنين ، أو حتى بضعة شهور من السعادة هى كل ما يمكن أن نأخذه من الزواج · أما عنى فشعارى أن يحاول المرء أن يكون سعيدا مهما حدث · ألا ترين ما أرى ؟

الأم : يجب أن يعمل المرء أولا وأن يجتهد · ويجب أن نأخذ الأمور مأخذ الجد ·

الأب : ألا ترين أنت أن السعادة من الأمور الجادة ؟ ألا ترين أن نيل السعادة يقتضىمنا عملا جادا؟ ولكن ماذا تتصورين ياسيدتى؟ رأيى أن الأغبياء فقط هم الذين لا يفكرون الا فى هذا الأمر ليلا ونهارا · من الغباء أن نكتفى بقليل منها يلقى الينا على سبيل الحسنة أو أن نكتفى بمسرة عابرة · لا يمكن للمرء ان يحصل على ما يكفيه من السعادة · ماذا تتصورين

يا سـيدتى ؟ يجب أن يكون المرء ذا شـهية شرهة ليدرك السعادة ٠

(يقول لجوليا التى تدخل حاملة أطباقا وأكوابا ومفرشا)
أليس كذلك يافتاتى ؟ ٠

جوليا : ماذا تطلب أيضا ؟

الأب : (وقد ضايقته تلك الملاحظة) لماذا تقولين « أيضا » ؟ كنت أقول لحماتك ان المرء لا يمكن أن يحصل على ما يكفيه من السعادة ، آمل أن تكونى قد انتويت ادراك السعادة ؟

جوليا : نعم يا والدى ٠ وكنت أتمنى أن تسـاعدونى جميعا على ادراكها ٠

الأب : يمكنك الاعتماد على فى ذلك يا صغيرتى ٠ انى أبدو رجلا مهزارا ولكنى أحمل قلبى على يدى كما يقولون وهـذا أمر تجهله حماتك ٠

(يدخل لوسيان وهو يرتدى حلة واسعة جدا)

الأم : من هذا ؟

الأب : (وهو ينحنى) انه ابنى يا سيدتى ٠

الأم : أيكون ساقيا بمقهى ؟

الأب : كيف ؟ انه حاصـل على ليسانس الحقوق ٠ ولكن ، بتلك المناسبة ، آين وجدت هذه الحلة ؟

لوسيان : (دون أن يضحك) انهـا حلتك ٠ لقد ارتديتها احتفاء بالسيدة ولكى أبدو أمامها بالمظهر اللائق ٠

الأم : (فى تحفظ) انى أشكرك على رقتك يا سيدى ٠

لوسيان : (ينحنى فى احترام) أحييك يا سيدتى ٠

(يقول لجوليا التى تنظر اليه فى شىء من القلق) أأبدو كرجال البلاط فى عهد « الوصاية على العرش » بحلة أبى هذه وذيلها العجيب ؟

الأم : (لجوليا) هذا على الأقل يبدو مهذبا ٠

جوليا : (فى لهجة غامضة) نعم ، انه يبدو كذلك ٠

لوسيان : أترين ، لقد استنتجت ذلك من تلقاء نفسها ٠

الأم : أهذا هو أخوك المتزوج ؟ وأين زوجته ؟

لوسيان : انها فى رحلة شهر العسل ٠

جوليا : (تصرخ) لوسيان !

لوسيان : لا ، كنت أمزح فهى تحج فى مدينة لورد وتبتهل للعذراء حتى ترزق بطفل ٠

(تنظر الأم اليه وتتساءل ان كان جادا فيما يقول ٠ تسحب « جوليا » الأم بسرعة وتقول) :

أتتكرمى يا أماه بمساعدتى ؟ سوف أحتاج الى نصحك بالمطبخ ٠ أما انتما فأعدا المائدة ٠

لوسيان : (للأب بعد خروجهما) لقد كان لمظهرى وقع عظيم عليها٠ مهما قال الناس فان التأنق ٠٠

الأب : أوه ٠ ان هذه المرأة جذابة ولكن يبدو لى أنها محدودة الأفق وعلى أية حال ، وحتى لا نجحدها حقها ، فان صدرها ما زال ناهدا جميلا ٠ انى ضعيف تجاه تلك المخلوقات ٠

لوسيان : انت تخرف فتلك المرأة قد بلغت من العمر مائة عام ·

الأب : وأنت مجرد من كل خيال · انى أتخيلها فى عام ١٩١٢ وقد وضعت على رأسها قبعة عالية مزينة بالريش ·· يا له من منظر رائع ! ولكن لنغفل هذا فالفرصة قد فاتت الآن ·

جوليا : (تدخل وتتجه نحوهما) أنصتا كلاكما الى · ربما لن تسنح لنا فرصة أخرى غير تلك الدقيقة · لننس الغداء الذى لم يعد والبيت القذر ·

الأب : كنت أول من انزعج لهذا الأمر · لقد أدركت مدى انزعاجى أليس كذلك ؟

جوليا : سوف أؤنب « جانيت » عند عودتها ، اذا عادت · والنقود؟ أنفقتموها ·· أليس كذلك ؟

الأب : (فى حركة درامية) لقد اضطررنا الى أن نسدد للبان ثمن لبنه ·· ان هذا البيت كالبالوعة · لم يتبق بعد دفع ماعلينا للبان الا ثلاثة عشر فرنكا · وكنت أريد أن أشترى لنفسى رباط عنق من هذا الطراز الذى يثبت بمشبك لكى أبدو فى المظهر اللائق اليوم ·· اذ لم يتبق عندى شىء أرتديه ·· وأنا أقول « كنت أريد » لان ذلك الرباط وجهاز تثبيته قد تحطم· أن تلك الاختراعات الحديثة قد ثبت عدم صلاحيتها · فأنا أذكر ذلك الرباط من طراز ال « مونتفيـديو » الذى كنت أرتديه قبـل الحرب · كان يكفيك أن تأتى بحركة بسـيطة فيثبت ويجعلك أنيقا نظيفا · ولكن مالنا وكل هذا ·· لقد أصـلحت رباطا قديما وجمعت أطرافه بدوبارة · وهـذا الاصلاح يكاد لا تراه العين ، أليس كذلك ؟

جوليا : لا · ولكن كان فى امكانك أن تبدل ياقة قميصك ؟

الأب : ياقة قميصى ؟ انها ياقة منشاة · انك مخطئة فى لومك هذا فان تلك الياقة تحمل ماركة مشـهورة وهى من النوع الذى لا يغير ·

جوليا : نعم ، ولكن يمكن غسلها · والشعر الذى يتسـاقط على الملابس يمكن تنظيفه بفرشاة والأظافر يمكن أن تقص والزرار الأول لا يزرر فى العروة الثانية ·

الأب : أوه ·· أوه ·· انك تغالين فى الاهتمام بالتفاصيل المهم هو المظهر العام ·

جوليا : وبالطبع لم تحلق ذقنك هذا الصباح ؟

الأب : (فى دهاء) لا ، ولكن كيف أمكنك أن تلحظى ذلك ؟

جوليا : (التى أوشـكت أن تنتهى من ربط أزراره) لا تضـج طوال الغداء من الشكوى ومن أنك لا تملك سنتيما واحدا ·

الأب : من تتخيلينني ؟ لقد صادفتنى فى حياتى صعاب : لعبت وخسرت ولكنى أعرف أصول اللعبة ، بالعكس ، سـوف أحاول أن أبهر تلك المرأة وأن اخرسـها بأبهتى · اخرجى الفضية كلها يا فتاتى ·

لوسيان : (وهو قابع فى ركنه) لقد حجز عليها منذ عام ١٩١٣ ·

الأب : (يواجهه فى ثبات وعظمة) يمكننى أن أفك رهنها فى أى وقت فعندى كل الأوراق اللازمة ·

لوسيان : ربما أمكننا أن نستعرضها على المنضدة ·

الأب : على العموم ، ان كنا مضطرين مؤقتا الى التغاضى عن الأبهة فلا أقل من الظهور بمظهر كريم نبيل · سوف نستقبلها فى

ذلك الاطار البسـيط الذى تشـع منه أمجاد الأجداد فنحن نستقبلها فى بيت العائلة القـديم ذلك البيت الذى لم ينج من نكبـات الزمن ، ولكنه ما زال شامخا متينـا فوق ذلك الأساس القديم ..

لوسيان : آه بتلك المناسبة . ان مياه الأمطار تتسلل الى غرفه جميعا وقد طلب السباك مبلغا تحت الحساب لكى يبدأ عملية الاصلاح . ألا يمكنك أن تفعلى شيئا من أجلنا ؟

جوليا : أنا دائما .. أنا دائما .. ان نفسى لتشمئز منكما .

الأب : أهو ذنبنا ان كان سقف البيت ينهار ؟ كان أجدر بك أن تشمئزى من تصرف السباك . أيطلب مبلغا تحت الحسـاب ؟ لقد عرفته وهو ما زال صبيا صغيرا لا يزيد على شبرين .

لوسيان : أصبت ، وهو بدوره يعرفك حق المعرفة .

الأب : (يرعد) انه لا يعرفنى حق المعرفة . سوف الجأ الى منافسه.

لوسيان : ليس هناك غيره .

الأب : حسن . سوف أطلب سـباكا من باريس . الأفضـل له ألا ينفد صبرى .

(يشعل سـيجارا آخر ويتمدد بطوله على الأريكة ثم يقول بعد أن هدأ فجأة) وذلك الغداء ، أتعدونه ؟

جوليا : لقد بعثت اليكم بكل ما أمكننى ارساله ، أما الآن فلابد من أن أفكر فى أمر زواجى وفى أمر جهازى .

الأب : أنت على حق . بل انفقى على كل تلك الأشياء بسخاء فأنا لا أحب أن يقول الناس اننا لم نعطك شيئا . أتحصلين على

مرتب كاف بعملك فى التعليم ؟ أتحصلين على دروس خصوصية ؟ لقد قابلت مفتش المنطقة فى جناز وقد أخبرنى بأن رؤساءك راضون عنك كل الرضا وأن تقاريرك ممتازة ٠

جوليا : اؤكد لك أنى سأبذل قصارى جهدى ولكن ما كنت أحب أن أقوله لكما الآن ، وقد شرعت فى الزواج ، هو أنكما لا يمكنكما منذ الآن الاعتماد على ٠

الأب : هذا أمر مفروغ منه ٠ بل تأكدى أن زواجك هذا لو أنه تم فى عهود أخرى سابقة لكنت وهبتك صداقا جديرا بأميرة ٠

جوليا : (موجهه حديثها للوسيان) وماذا اعتزمت أنت ؟

لوسيان : انى أنتظر ردا من ساحل العاج ٠

جوليا : وان لم يصلك هذا الرد ؟ يبدو لى أنك بما حصلت عليه من شهادات يمكنك أن تجد عملا فى مكان آخر غير أفريقيا ٠

لوسيان : (فى سخرية قاتمة) أأعمل هنا تحت تلك السماء التى تفوح فى أرجائها رائحة الخيانة ، فى مكتب يغص بالأزواج المغفلين المخدوعين لن يكلموننى طوال النهار الا عن الحب ؟ كلا ٠ أريد أن أعيش فى الأحراش مع زنوج أغبياء ، يصبغ السواد أديمهم ويخيم على عقولهم ، زنوج تكون رءوسهم كالأحجار الصماء لايشغلون بالهم بالتفكير فى الحب ٠ لقد صممت على ألا أعيش فى مكان الا اذا كان يبعد عن أى رجل أبيض أربعمائة كيلو متر على الأقل ٠ اذا ما جاءنى الرد فسوف أرحل فى الحال ، دون تردد ، بل ودون أن أودعكم ٠ لقد أعددت كيسا أعلقه على المشجب حتى لا أضيع دقيقة واحدة عند رحيلى ٠ وبمجرد أن تصلنى تلك الرسالة سوف أضع قبعتى على رأسى وأحمل متاعى وأرحل الى غير رجعة ٠

وأرجوكم ألا تهتموا كثيرا بموضـــوع مراسلتى · لن أفتح حتى رسائلكم ·

الأب : (يهتف) ان الأولاد جميعا ناكرون للجميل ·

(ويضيف)

وعلى أية حال أنا لا أكتب رسائل أبدا ·

جوليا : ان ماكنت أرســله لم يكن ليكفيكم دون شـــك · كيف عشتم طوال هذا الشتاء ؟

لوسيان : على علب الطعام المحفوظ ·

جوليا : اجيبانى كيف عشتم طوال هذا الشتاء ؟

الأب : (وقد نفد صبره) كيف أعرف ؟ لقد دبرت جانيت الأمر ·

جوليا : وهل تعمل جانيت ؟ وفيم تعمل ؟

الأب : (يقوم بحركة غير مفهومة) انك تعرفين أختك حق المعرفة ، اننا لا نراها أبدا ·

جوليا : لا شك أنكما تعرفان بالتجربة أن المال لا ينبت فى الرمال هكذا هل ذهبت الى المدينة ؟ هل وجدت عملا ؟

الأب : لا لقد بقيت هنا ·

جوليا : انى لا أفهم معنى هذا هل أتتكم بمال يكفيكما ؟

الأب : (يقوم بحركة أخرى غير مفهومة) أوه · أما عنى ، فالمال عندى كما تعرفين ··

جوليا : وانت يا « لوسيان » أتعرف شيئا عن هذا الأمر ؟ تكلم ·

لوسيان : الأمر بسيط · انى واثق ياعزيزتى أننا قد عشنا جميعا ذلك الشتاء على كرم السيد « ازارياس » ·

جوليا : ازارياس الذى يسكن القصر الصغير ؟

لوسيان : نعم · ان الفتـــاة الحنون كانت ترحل عند حلول الليل ولا تعود الا فى الفجر ، وأعتقد أنها كانت تتجـه الى طريق الغابة · كلكن سواء · كلكن ســـواء · أما عنى فانى جـد مبتهج بكل هذا ·

جوليا : (تنفجر قائلة) اوه ، كم أشـــعر بالعار ! كم أشـــعر بالعار ! · وألم تقولا شـــيئا ؟ ألم تفكرا حتى فى أن تكتبا لى ، حتى أحاول شيئا ؟ لم يكن ينقصنى الا تلك المصيبة · وكل هذا يحدث لى عشية زواجى · سوف يعرف الناس جميعا ما جرى ·

لوسيان : (ســـاخرا) لا تستعملى زمن المســـتقبل فالكل يعرف الحقيقة من الآن ·

جوليا : أهذا كل ما لديك ؟ أهـــذا كل ما يمكن أن تفعله ؟ هاهى أختك تعاشر عشيقا ، عشيقا يدفع لها ثمن علاقتها به ، وهى تذهب اليه كل ليلة وأنت تسخر وتشعر بالبهجة لأن الكل يعرف الحقيقة ؟

الأب : (الذى يدخن وهو مستلق على الأريكة ، يقوم بحركة فيهـا ترفع) عفوا ، اما عنى فلم أكن أعرف ·

(يدخل فردريك فى تلك اللحظة حاملا زجاجات النبيـذ · تسرع جوليا نحوه وهى تصيح وكأنها تطلب منه النجدة) ·

جوليا : فردريك ! فردريك !

فردريك : ماذا هناك ؟

جوليا : لنرحل فى الحال .

فردريك : لماذا ؟

جوليا : استدع أمك من المطبخ وقل لها انك مريض واقنعها بأنه لابد من أن نعود أدراجنا ، انتحل لها أى عذر ولكن لنرحل .

فردريك : (للآخرين) هل تشاجرتم ؟

لوسيان : نحن ؟ أبدا .

الأب : لا تبال بما تقول . ان تلك الصبية كتلة من الأعصاب .

جوليا : (وهى تخفى نفسها بين ذراعيه) أى فردريك ، انك قوى. انك تجابه الحيـاة كرجل مقدام ، تجابهها بضحك وتغفر كل عيوبها ، وأنت تتصـور كل شىء سـهلا ميسـورا . انك يافردريك نقى السريرة ، ولاتعرف شيئا عنها ، فمنذ كنت صغيرا وجدت أمك التى تملأ البيت بصوتها الآمر والتى تعنى بتنظيف بيتها . لا يمكنك أن تعرف تلك الأشياء .. سوف أكون مثلها أى فردريك ، سوف أكون مثلها ، أقسم لك على ذلك سوف أوفر لك سعادة كتلك التى ترعرعت فيها وأنت صبى صغير . وسوف تجد دائما ، عند عودتك الى بيتك ، كل شىء فى مكانه ، وكل عواطفى فى المكان الذى تريده لها.

فردريك : (وهو يربت عليها ويحتضنها) نعم يا جوليا .

جوليا : وعندما نرزق بطفل ، سـيجد كما وجـــدت أما حقيقية ، أما ترتدى ميدعة تستقبله بالفطائر وباللطمات اذا أخطـــأ وتقص عليه القصص ، يعيش أيامه فى نظـــام دقيق كدقات الساعة .. انى أعرف حقـــا ان البيوت الحاوية من العاطفة

لا توجد بها الا الفوضى والكلمات القذرة والأمسيات الباردة والعار ٠

فردريك : (برفق) نعم يا جوليا ٠

الأب : ياللأطفال الظرفاء ٠٠ آه ٠ انه الحب الحب ٠٠ كنت فيما مضى هكذا تماما ، قلقا ، عصبى المزاج تراودنى الأوهام ، سريع الانفعال ٠٠ كنت أتصور دائما أننى لم أصادف كل ما أحتاجه من الحب ٠ ومع ذلك ، الله وحده يعرف ٠

(يقوم بحركة ويصرخ فى جوليا)

انه يعبدك ايتها الصغيرة ، انه يعبدك ٠ لا تبكى ، ان تلك الحقيقة واضحة كالشمس ٠

جوليا : (وهى بين أحضان فردريك تقترب منه أكثر فأكثر) ٠ هيا بنا يا فردريك فانى أشعر بالخوف ٠

فردريك : (مبتسما) ومم تخافين ؟ انك مع رجلك القوى ٠ يجب ألا تخشى شيئا ٠ هيا جففى دمعك وكونى عاقلة ابتسمى ٠

جوليا : (تحاول الابتسام) لا أستطيع فان خوفى شديد ٠

(تدخل الأم محتفظة بقبعتها فوق رأسها ٠ لقد ارتدت ميدعة فوق ثوبها الحريرى ، وهى تمسك بدجاجة تنظفها من ريشها)

الأم : جوليا ٠ ربمـــا نجحت رغم كل الصــعاب فى اعداد غداء مناسب ٠ لقد وجدت ديكا بالحديقة وقد ذبحته ٠

لوسيان : ليون ! لقد قتلت ليون !

الأم : (وهى تنظر الى دجاجتها) ليون ؟ من « ليون » هذا ؟

الأب : (وقد وقف بدوره ، مذعورا) وا مصيبتاه • ان ذلك سوف يسبب لنا متاعب لا نهاية لها •

لوسيان : (يصرخ كالمجنون) اذبح ليون ؟ أيكون ليون قد قتل على يد أصهارنا ؟ ان الموقف رهيب واللحظة فريدة •

الأم : ولكن ليس بالأمر مدعاة للعجب ، فهو ديك كبقية الديوك • سوف أرسل لكم غدا زوجا من الديوك أكبر وأسمن منه •

لوسيان : انها تقول انه ديك كبقية الديوك • انها تقول ان ليون ليس الا ديكا •• انها لا تتبين اطلاقا خطورة ما أتته من أمر•

جوليا : أؤكد لك يالوسيان أن دعاباتك لا تضحك أحدا •

لوسيان : ليس المجال مجال الضحك ، لا يشعر أحد هنا بالرغبة فى الضحك • انظرى الى والدى

الأب : (الذى يبدو فى أشد حالات القلق) اثبتوا • أنصحكم بالثبات• ألا يمكن أن نعيده الى الحياة ؟ ألا يمكن أن نلجأ الى التنفس الصناعى ؟

لوسيان : سبق السيف العزل ، فان دمه يسيل غزيرا • ها أنا أرى دم ليون يسيل • ان ليون يهلك بين يدين آثمتين • وها نحن هنا وقوفا كالكورس فى المأساة القديمة ، عاجزين ، شاحبى الوجوه صامتين ، لا حول لنا ولا قوة ••

الأم : أرجوك أن تسكتى هذا المجنون ، فان صوته يمنعنا من أن يسمع بعضنا البعض •

لوسيان : (يهتف وهو واقف على الأريكة ، لا يزال مرتديا حلته الرسمية) لقد فات الأوان يا سيدتى ، لقد فات الأوان • ان السحب تتجمع فوق رءوسنا • أنصتوا انى أسمع صرير باب

الحديقة ، كما أسمع صوت ارتطام أقدام بابر الصنوبر على الأرض • سوف ينزل القدر مصيبة على هذا البيت فتقضى عليه سوف تفنيه ، أشعر بذلك الاحساس وهناك هاتف يهتف بداخلى بأن مصيبة ستحل بهذا البيت بعد دقيقة واحدة •

(ظهرت جانيت فى آخر المسرح • وتتوقف فجأة عندما تبصر بالديك فى يد حماة أختها • الجميع ينظرون اليها ولكنها لاتنظر الا الى الديك • يسمع صوت لوسيان وهو يتمتم فى هذا السكون بقوله)

لوسيان : ها هى المصيبة قد حلت • ان البيت سينهدم ••

(تنظر جانيت الى حماة أختها وفجأة تتجه صوبها • وهنا يقول الأب فى صوت مخنوق)

الأب : يا ابنتى ، كونى مهذبة •

(لقد انتزعت جانيت الديك من بين يدى الحماة وهى تحتضنه وتصر على أسنانها وكأنها سترتكب عملا فظيعا • وتقول أخيرا كمن يتكلم فى حلم ، فى صوت لا يكاد يسمع)

جانيت : من هى تلك المرأة ؟ ما الذى تفعله هنا بتلك الميدعة على بطنها ، وبيديها الملطختين بالدم ؟

الأب : سأشرح لك كل شىء يا ابنتى ، ان كل ذلك انما نتج عن سوء تفاهم فظيع •

جانيت : من هذه المرأة المتشحة بالسواد ذات الجبهة الضيقة والعيون الغليظة وتلك الطلعة المهيبة ؟ من ذا الذى أحضر الى هنا تلك المرأة التى تلبس قبعة الأرامل وتثبت بأذنيها الأقراط وتضع فى يديها الخواتم تلك اليدان المجرمتان ؟

جوليا : (وهى تتقدم منها) انى أمنعك من الاسترسال يا جانيت . ان تلك السيدة هى أم خطيبى .

جانيت : (دون أن تكف عن النظر الى الأم) آه . أهى أم خطيبك ؟ آه . أتمنعيننى من الاسترسال ؟ وهل منعتها منذ لحظات من أن تعتدى على ديكى ؟

جوليا : (تصيح) لم أجد هنا شيئا تأكله ، أهو ذنبى اذن ؟

جانيت : (تصيح فيها دون أن تنظر اليهـــا) توجد علب البازلاء والساردين عند البقال . كنت قد طلبت من والدى أن يشترى بعضا منها .

الأب : (متظاهرا بالدهشة) أطلبت منى ذلك ؟ هل طلبت ذلك منى أنا ؟ وبأية نقود أشتريها ؟

جانيت : (مستمرة فى حديثها دون أن تصغى اليه) ولكن كان لابد لحماتك هذه من أن تقدم لها وليمة فاخرة ، حتى ننقذ شرف العائلة أليس كذلك ؟ كان لابد من أن تشبع بطنها قبل تناول القهوة من أن تتجشأ برقة وهى تخفى رأسها فى صدرها . هذا هو كرم الضيافة أليس كذلك ؟ ولذا فقد طاردته وهى ممسكة بسكينها ، تركتوها أنتم ترتكب جريمتها .

(تلتفت نحو أبيها وهى فى أشد حالات الهياج)

لقد تركتهـــا ترتكب جريمتهـــا ، أليس كذلك .. يا لك من جبان . انى أتخيلك وأنت تتسكع حولها قائلا : « ولكن ماذا تفعلين يا سيدتى ، ماذا تفعلين ؟ » . أنسيت أنه كان يعرفك وأنه كان يأتى اليك ليستريح فوق كتفك وليأكل فى كفك ؟

الأب : كنت راقدا على الأريكة ولم أسمع شيئا . كنت أدخن .

جانيت : (التى تحتضن ديكها بقــوة) أتمنى أن تنفقـوا جميعا كلكم ـ كما نفـق هو ـ مذبوحين ذات ليلة فى أسرتكم ٠ أتمنى أن تشعرو بما شعر به هو من خوف ورعب ٠

جوليا : كفاك يا جانيت ٠ كفاك حماقة ٠ كفاك هذا واسكتى ٠

الأب : (موجها حديثه للأم) اعذريها يا سيدتى فهى مازالت طفلة٠٠ ان نفسها رغم كل هذا كريمة ٠ المهم هو أن تعرفيها حق المعرفة ٠

الأم : أتعرف عليهـا ؟ شكرا ، لقـد تعرفت عليها وعرفت ما فيه الكفاية ٠

(تخلع ميدعتها)

يا جوليا يا صغيرتى ، لقد اقتنعت أخيرا أنك كنت على حق ٠ كان يمكننا أن نتغاضى عن وجوب التعرف بأسرتك ٠ أى فردريك تعال ، لنرحل ٠

(تتجه نحو المطبخ ٠ يهرول الأب وراءها صائحا)

الأب : والغداء ؟ اهدئى أيتها الحماة الجميلة ، اهدئى ٠٠ كنا على وشك تناول الطعام ٠

الأم : (تقول وهى خارجة) شكرا سوف نتناول عشاءنا فى بيتنا ٠ يمكننا فى بيتنا أن نذبح الديكة

(ينظر اليهـــا الأب وهى خارجة وترتســم فى عينيه نظرة يائسة)

جوليا : (موجهة كلامها لجانيت قبل أن تتبع حماتها) أما أنت فأنا أبغضك ٠

الأب : (لجانيت وقد فقد السيطرة على نفسه) أكل هذا لديك ؟ألم يكن الأمر خطيرا فليس الا ديكا كبقية الديكة ، أيتها المجنونة

أكل هذا لمجرد أنك أطلقت عليه اسم « ليون » هذا ؟ حقا انه كان لطيفا ، نعم كان لطيفا ، ولكن كلنا ظرفاء وذلك لا يمنعنا من أن ننفق ذات يوم ٠

(يخرج الأب ٠ لا يبقى الا جانيت التى مازالت تحتضن ديكها وهى متسمرة فى مكانها ولوسيان الذى مازال يقف على الأريكة وفردريك الذى لم يكف عن النظر الى جانيت منذ لحظة دخولها٠ يسود السكون بعد تلك الضوضاء ٠ ويقول فردريك فجأة دون أن يتحرك من مكانه)

فردريك : انى أطلب عفوك ٠

(تنظر اليه جانيت وتبتسم قليلا)

لقد أصاب والدك ، فكلنا سنموت كان يمكن أن يموت بطريقة أخرى فتدهمه مركبة ٠

جانيت : أما أن تدهمه مركبة فان الأمر يكون مختلفا ٠ أنا واثقة من أنه قد شعر بالخوف ، واثقة من أنه قد لمح السكين وانه فهم لقد كان فى غاية الذكاء ٠

فردريك : (دون أن يضــحك) ربما لم يجــد الوقت الكافى ليفهم بالضبط معنى ما كانت تنتويه ٠

جانيت : (فى حزن) بلى ، أنا واثقة انه قد فهم أنه سيموت ٠ لكأن الذنب ذنبه أن الغداء لم يعد ٠ لم يكن يفكر الا فى العدو على الحشائش والبحث عن الديدان الصغيرة ، دون أن يؤذى أحدا ، ولم يكن يخشى الا الريح التى تحرك الأشباح٠آه٠ يا لبطونهم، يالبطونهم القذرة ، كم تشغل بالهم !

(تنظر الى فردريك وتخطو الى الوراء)

ولكن من تكون ؟ انى لا أعرفك ، لا أعرفك أنت الآخر ٠

فردريك : انى خطيب جوليا ٠

جانيت : (تنظر اليه فى عدم ثقة)

آه ٠ أأنت اذن ابن تلك المرأة ؟

فردريك : (مبتسما) :

نعم ٠ ولكن يجب الا تظلميني ، ليس الذنب ذنبى

جانيت : (وهى تنظر الى ديكها والأسى يرتسم على محياها)

يا ل « ليون » المسكين ٠ كم كان يتمنى أن يصبح ديكا كبيرا مخيفا ٠ كان يتمنى أن يصبح ديكا حقيقيا يحمل فوق رأسه عرفا حقيقيا ، وأن يوقظ الناس كل صباح ٠

فردريك : (برفق)

ألا تأكلين الطيور أبدا ؟

جانيت : (مطأطئة رأسها)

بلى ٠ عندما تدركنى الشيخوخة وعندما ألم بحقائق الحياة كما يحدث للآخرين ، سوف أقول مثلهم أن ليس لأحد ذنب فى كل ما يحدث ٠ ربما كان مما يريح الناس أن يسلموا بكل ما يدور من حولهم ، وأن يجدوا مبررا لكل عمل وألا يثوروا لأى شىء من الأشياء ألا ترى ، أنت ، أن انتظار الشيخوخة طويل ممل ؟

فردريك : (يقول مبتسما)

يكفينا التسلح بشىء من الصبر

جانيت : لا أحب الصبر كما لا أحب الاستسلام وتقبل الأمور على علاتها ٠ لا بد أن تكون أختى قد حدثتك عنى كثيرا وانها قصت عليك أشياء وأشياء ٠

فردريك : (مبتسما)

نعم • لقد قصصت على أشياء كثيرة

جانيت : حسن • لقد صدقت فى كل ما قالت • بل انى أسوأ مما وصفتنى به • وكل هذا انما كان بسببى فأنا وصمة تلك الأسرة كما لابد أنهم وصفونى لك ، وأنا تلك التى ترتكب كل المحظورات ويجب أن تبغضنى

فردريك : (مبتسما)

أعرف هذا •

جانيت : ثم أرجوك ألا تبتسم فى وجهى كما يهشون فى وجه الأطفال وألا تتصور انى فى حاجة الى تسامحك ، فأنا لا أحب شفقة الناس كما لا أحب البكاء • أنت على حق • انى آكل الطيور الأخرى ، فلم لا آكل هذا الديك الآن ما دام قد لقى حتفه ؟ لأنى كنت أحبه • ؟

سأكون فى منتهى الغفلة لو امتنعت عن أكله • سوف أعيده الى الغولة •

(تتجه الى المطبخ صائحة)

ها هو ديككما أيتها المرأتان •• لتنزعا ريشه فى مطبخكما ولتطهياه اذا اردتما •

(تختفى ويلتفت فردريك نحو لوسيان الذى لم يتحرك طول ذلك المشهد • ترتسم على محيا لوسيان ابتسامة غامضة ، ويقول له فردريك بصوت يكاد يكون مبحوحا)

فردريك : انها مدهشة •

(ينظر اليه لوسيان لحظة دون أن يقول شيئا ثم يقول أخيرا بابتسامة وهو ينزل من فوق الأريكة)

لوسيان : نعم ولكنها لم تدهشك بعد بما فيه الكفاية · سوف تدهشك أكثر وأكثر ·

(فردريك وقد أدهشته لهجة لوسيان ، ينظر اليه)

ستار

الفصـــل الثـــانى

نفس المنظر ولكن البيت قد نسق • الوقت مساء ، بعد العشاء ، والحجرة تسـودها ظلمة • نرى فى آخر المسرح ، المطبخ مضاء والأم وجوليا «منهمكتين فى العمل • اما فى مقدمة المسرح فنرى الأب جالسا على مقعد وثير وهو يغط فى نومه ممسكا بسيجاره المطفأ « جانيت » و « فردريك » يجلسان على ناحيتى المائدة بعيدين احدهما عن الآخر وينظر كل منهما الى زميله من فوق المنضدة التى يبدو أن نصف ما كان عليها من أدوات وطعام قد أزيل • نرى على بعد شبح « لوسيان » متكئا بظهره على الباب الذى يفتح على شرفة ، وهو يسرح ببصره فى ظلمة الليل •

يشرع الأب فجأة فى اطلاق شخير مزعج ثم يتوقف بعد أن بدأ « لوسيان » يصفر فى صوت عال مسعور لحنا عسكريا • يلتفت كل من « فردريك » و « جانيت » الى الناحية التى يجلس بها الأب ثم ينظر كل منهما الى الآخر ويبتسم لأول مرة • تسـمع فى مكان ما من الحجرة دقة معلنة مرور نصـف سـاعة • وهنـا تزول الابتسامة من على وجهيهما ويسأل « فردريك » •

فردريك : أيرحل القطار فى العاشرة والنصف ؟

جانيت : نعم •

(لحظة صمت)

فردريك : كم مر سريعا هذا اليوم ؟

جانيت : لقد مر سريعا •

فردريك : ومتى يقدر لنا أن نلتقى ثانية ؟

جانيت : يوم الزفاف ٠

(سكون ٠ يتحرك « لوسيان » فجأة وتبتلعه ظلمات الليل ٠ نسمعه أثناء ابتعاده وهو يصفر لحنا معروفا يرمز الى حلول ميعاد العودة)

فردريك : لكأن تلك الأمسية أمسية سنعيشها بعد سنين طويلة عندما سنعود لقضاء بضعة أيام هنا فى صحبة « جوليا » سوف يبقى كل شىء هنا على ما هو عليه ٠٠ سوف يغط أبوك فى نومه عندئذ وهو جالس على ذلك المقعد الوثير وسيجاره مطفأ كما يفعل الآن ٠ وستنهمك « جوليا » هناك فى أعمال المطبخ وسوف ننسى اضاءة المصباح كما يحدث فى تلك الأمسية وننصت الى تلك الأصوات المبهمة التى تمهد لحلول الليل ٠

جانيت : لن تعود أبدا ٠ وأنت تعرف ذلك حق المعرفة ٠

فردريك : ولم لا أعود ؟

جانيت : لن ترغب « جوليا » فى العودة أبدا ٠

فردريك : (بعد فترة من الصمت) اذن لكأن تلك الأمسية أمسية قد مضى عليها وقت طويل ، أمسية من زمن غابر ما زالت ذكراها عالقة بقلوبنا ٠ لابد اننا فى تلك اللحظة قد أدركتنا الشيخوخة ، وان الزمن قد فعل بنا ما فعل وحطمنا وانه قد فرق بيننا منذ أعوام طويلة ، وأننا الآن نسترجع ذكرى تلك الأمسية الهادئة التى لم يفكر أحد خلالها فى أن يضىء المصباح ، والتى كنا نجلس أثناءها فى هذا المكان بالذات ننتظر حدوث شىء لا نعرف كنهه ٠

جانيت : (تصيح بعد أن تنتصب فى جلستها) أما عنى فلن أذكر شيئا . أنا أكره الذكريات ، فذلك ضرب من الجبن ولا جدوى من تذكر تلك الأشياء .

الأب : (يستيقظ فجأة ويهم من رقدته ويتظاهر بأنه لم يكن نائما) ماذا كنت تقولين يا ابنتى ؟ لم أفهم جيـــدا معنى ما كنت تقولين .

جانيت : لا شىء يا أبى . لم أقل شيئا . نم من جديد .

الأب : (وهو ينعس من جـديد) لم أنم . وأنا أســمع كل كلمة تنطقان بها .

جانيت : (خلف ظهره ، فى صوت خفيض لا يمكن أن يســمعه ولا أن يوقظه ، تقول ونظرتها تائهة) اذن اصغ يا أبى ان كنت تسمع كل ما نقوله . اصغ جيدا ، اصغ الى ماستقوله ابنتك الشريرة وليست ابنتك الأخرى ، فالأخرى لا تنطق أبدا بما يخجل ولا بكلمات تفوح منها روائح تزكم الأنوف ، فهى دائما تجيد كل شىء ، ابنتك الأخرى هذه سوف تكافأ على كل فضائلها تلك فسوف تنعم بالسعادة . ولن تحتـاج الى ذكرى أمسية بالذات فى مستقبل أيامها ، فمن حقها هى أن تستمتع بالأمسيات جميعا ، بكل أيامها ، بكل دقيقـة فيها ، وأن تنعم بالحياة طوال عمرها . بل من حقها أيضا أن تنعم ، بعد مماتها ، بذكرى حياتها كلها وأن تستعيد كل لحظة من لحظاتها ، الى الأبد ، وهى جالســة فى هنـاءة فى رحاب خالقها .

فردريك : (وقد وقف فجأة) صـــه .

جانيت : (تقول بادىء الأمر فى صراخ) لا ، لن أسكت .

(ثم تضطرب وتقول برفق)
ولم تطلب منى أن أطيعك ، من تكون بالنسبة لى ؟

(يظهر فى تلك اللحظة على عتبة الباب رجل طاعن فى السن، يرتدى معطفا قاتم اللون ، وهو يمسك فى يده ببرقية ويقول صائحا)

ساعى : يا أولاد .. يا أولاد .

الأب : (وهو يتلفت فى نومه) خطابات يا أولاد ، خطابات . انه ساعى البريد .

لوسيان : (الذى يظهر فجأة من بين طيات الظلام ، يندفع صائحا) أأنت أيها الساعى ؟ أتحمل رسالة لى ؟

الساعى : لا أيها الولد . انها لأختك . انها برقية ، اشارة ليلية .

لوسيان : ومتى تصلنى رسالتى أيها الساعى ؟

الساعى : سوف تصلك عندما أستلمها أيها الولد .

(يختفى الساعى ويسمع صوت الناقوس المعلق بباب الحديقة الذى يجلجل عند خروج الرجل ثم يتقدم « لوسيان » بعد لحظة ويقترب من « جانيت » مادا يده بالبرقية)

لوسيان : خذى انها برقية يا عزيزتى . هناك اذن أشياء ملحة يجب أن يخبروك بها ، أليس كذلك ؟

(تمر لحظة وينتظر . تأخذ « جانيت » البرقية ولا تبالى بفتحها)
ألا تفتحينها ؟

جانيت : لا ، فأنا أعرف ما بها .

لوسيان : (وهو يأتى بحركات مضحكة تفصح عن شدة فضوله) يا لحظك . كان بودى أن أعرف ما بها ..

(يخرج وهو يصفر لحنا عسكريا ، بعد أن يفرغ فى جوفه كأسا من النبيذ يصادفها أثناء مروره بجانب المائدة)

فردريك : (يسأل فجأة فى صوت مكتوم) ماذا بتلك البرقيه ؟

جانيت : لا شيء .

فردريك : ولم لا تفتحينها ؟

جانيت : (تمزقها دون أن تقرأها) أعرف مقدما كل ما جاء بها

فردريك : أنت على حق على أى حال . ما شأنى أنا بكل هذا ؟ لم أتعرف عليك الا هذا الصباح وسوف أرحل بعد ساعة .

جانيت : وسوف تتزوج أختى فى الشهر المقبل .

فردريك : نعم

(ينظر كل منهما الى الآخر)

جانيت : (بعد فترة تقول فجأة) انها برقية من عشيقى .

فردريك : أهو ذاك الرجل تبعنا بعد ظهر اليوم فى الغابة ؟

جانيت : هل رأيته ؟ لا انه رجل آخر اما هذا المسكين الذى رأيته فهو لا يجرؤ على أن يكتب لى . وهو على أية حال لا يعرف الكتابة . ان الذى كتب رجل آخر يعتقد أن من حقه أن يكتب لى انه رجل آخر اعتدت أن أذهب للقائه كل ليلة فى بيته .

فردريك : أكتب لك فى ذلك المساء لأنه لن يراك الليلة ؟

جانيت : لن يرانى لا الليلة ولا فى أية ليلة أخرى بعثت اليه برسالة

هذا الصباح أخبره فيها بأننى لن أراه بعد الآن ٠

(فترة سكون ٠ ثم يسأل « فردريك » فى عناء كمن يبذل مجهودا)

فردريك : ولم تهجريه ؟

جانيت : لأنى لا أحبه ، لأنى شعرت فجأة بالخجل من استسلامى له ٠

فردريك : وأمس ؟

جانيت : كنت بالأمس لا أبالى بشىء فقد كان كل شىء يستوى فى نظرى : أن يكون لى عشيق على شاكلته وأن تكون ساقاى عاريتين أو أن أرتدى ثوبا ممزقا ، لم أكن أبالى بأن أكون قبيحة

فردريك : (فى صوت مكتوم) لست بقبيحة

جانيت : بلى ف « جوليا » أجمل منى ٠ ان « جوليا » نقية النفس ، أما أنا فانى أعرف قدر نفسى أن ذلك الرجل الذى كان يتبعنا كان هو الآخر عشيقى ولم أكن أحبه ٠ وقد كان هناك آخرون من قبل ، منذ بلغت الخامسة عشرة من عمرى ، ولم أكن أحبهم بدورهم ٠

فردريك : لماذا تتعمدين تلطيخ نفسك بالأوحال ؟

جانيت : حتى تمقتنى ، حتى ترحل هذا المساء والبغضاء تملأ نفسك ، حتى تتزوج جوليا وقلبك حانق على مفعم بالحقد

فردريك : أنت تعرفين جيدا أنى عاجز عن ذلك ٠

جانيت : (فى رفق) وأنا أتعمد كل هذا أيضا حتى تعجز عن نسيان تلك اللحظة التى اعترفت فيها أمامك بعارى فى ظلمة الليل ٠

فردريك : (بعد فترة) ان تعمد ذلك أمر كريه ٠

جانيت : ليس أمامى أنا الا أمسية واحدة ، بل ليس أمامى أمسية واحدة ولا ســـاعة واحدة ، بل أقل من ساعة ، وبعد ذلك أمامى العمر كله لألتزم الصمت ٠

فردريك : ولم نقول كل هذا مادمنا عاجزين عن عمل أى شىء ؟

جانيت : لن يبقى شىء باكر ، لا ، لن يبقى شىء من هـــذا طوال حياتنا ولكن الآن مازلنا نستطيع شيئا ، فى تلك الساعة ، اذا سمحتما لنا بتلك الساعة ٠ ان ساعة تكون زمنا طويلا اذا شغلناه بمثل تلك الكلمات المضنية ٠

فردريك : وما الذى نستطيع قوله ؟

جانيت : يمكننا أن نعترف بسوء طالعنا ، أن يتحدث كلانا عن حظه العاثر مادمنا سنضطر الى أن نحبس تلك الحقيقة فى صدرينا الى الأبد ٠ يمكننا أن نتحدث فى سخف ، أن يخدع المرء نفسه يوما واحدا ، بل دقيقة واحدة ، وأن يخدع نفسه الى الأبد ٠

فردريك : (صارخا) ولكنى فى ذلك الصباح كنت أحب «جوليا»٠

جانيت : نعم ، بل لاشك أنك مازلت تحبها الآن ، وســـوف ترحل معها بعد قليل ، على أى حال ٠ وسوف تستمتع بالحياة معك طوال حياتها ٠ هذا هو السبب الذى جرأنى على قول ماقلته، لأنها أغنى منى ٠

فردريك : « جوليا » طيبة ويجب ألا تشعر بالألم ٠

جانيت : أعرف ذلك ، كمـــا أعرف أن ألمى أنا شيء جديد ، وان لا وزن له اذا قورن بألمها هى ، كما أعرف أيضا أن ذكراى فى قلبك يجب أن تبهت كالصورة الفوتوغرافية القديمـــة يوما بعد يوم ، بل انى أعرف أنك ذات يوم لن نســـتطيع حتى أن تذكر بالضبط شكل عينى ـ وأنت لم تنظر اليهمـا الا قليلا جدا على العموم ـ ثم فى يوم آخـــر ، قد يكون يوم ميلاد ابنك ، أو يوم تعميده ،سوف تنساهما تماما ٠

فردريك : (فى صرخة مكتومة) لا ٠

جانيت : بلى وان هذا هو الذى جرأنى على أن أفصح عن كل ذلك ٠ انى أتكلم كالذين حكم عليهم بالموت ، وأنا لن أموت حتى فى سبيل غرض نبيل ،بل سأموت بعارى دون أن يشفق على أحد ٠

فردريك : سوف أرحل مع « جوليا » بعد قليل وسوف أتزوجها ، هذا صحيح ٠ ولكنى لن أنساك أبدا ٠

(صمت)

جانيت : (برفق وهى مغمضة) يجب أن أشكرك كما يفعل الفقراء عندما يحسن عليهم ، أليس كذلك ؟

(صمت آخر)

فردريك : ان ذلك الإضطراب وذلك القلق اللذين اســتوليا علينـا نحن الاثنين اليوم ، لايمكن أن يكون مصدرهما الحب ، هذا شيء محال ، ولكنى سوف أعجز عن محو آثارهما من نفسى ٠

جانيت : (وهى تجز على أسنانها) أما أنا ففى امكانى أن أمحو اثرهما منذ باكر سأنسى كل ذلك ٠ أقسم لك ٠

فردريك : أهذا فى مقدورك ؟

جانيت : لابد مما ليس منه بد · انى مضطرة الى أن أنزع ألمى من قلبى ، بمفردى ، كما تفعل الوحوش عندما تنتزع شوكة من أرجلها ، بأسنانها · لا أريد أن أحب وأنا أحتضن الهواء · ولا أريد أن أحب رجلا بينما أحتضن رجلا آخر ·

فردريك : ولكننا لانحب بعضنا البعض · ان أحدنا لم يعرف الآخر بعد ·

جانيت : (تهز رأسها) هذا صحيح ، يجب ألا أحبك فأنا أمقتك مقتا شديدا · ما الذى جاء بك الى هنا ؟ ألم يكن فى مقدورك أن تتزوج « جوليا » هذه هناك ، دون أن أدرى ؟ كنت بالأمس أضحك ، كان لى بالأمس عشيق لم أكن واثقة من حبى له ولم أكن أبالى بكل هـــذا · كان يؤكد لى حبه وكنت حتى أمس أتلهى بما يقول ·

فردريك : ولم كتبت له لتخبريه بأنك ستهجرينه فى هذا المساء ؟

جانيت : ليس هناك أى سبب · لربما فعلت هذا لمجرد أن أشعر بأننى فتاة حرة عندما أودعك · ولو أنى استطعت أن أهجر الآخرين ، الذين عرفتهم من قبل ، ولو أنى تمكنت من محو آثار أيديهم فوق جسدى لما ترددت ·

الأب : (يتململ ويدور فى مقعده الوثير أثناء نومه ، ويقول وهو يتنهد) نعم ، ولكن بالتأكيد لن أقوم أنا بتلك النفقات ·

فردريك : (يبتسم بالرغم منه) فيم يحلم ؟

جانيت : (تبتسم بدورها) لست أدرى · ربما كان يحلم بوليمة الزفاف ·· يا لأبى المسكين !

عندما سيرحل « لوسيان » بدوره سوف نبقى بمفردنا نحن الاثنان • ياله من بيت عجيب بيتنا هذا •

(لقد اقترب كل منهما من الآخر ليتابعا حركات الأب فى نومه)

فردريك : (يقول فجأة برقة) انى أطلب عفوك •

جانيت : (مبتسمة) ولم الاعتذار ؟ سبق أن اعتذرت لى هذا الصباح بدون مبرر ، أثناء حادثة الديك •• وعلى أية حال ، كل ما يحدث الآن عدل • ولو أن عكس هذا حدث لكان الأمر فظيعا • ان « جوليا » امرأة بالمعنى الصحيح • ولست أنا كذلك • انك تحبها منذ شهور طويلة بينما لم تحبنى الا صباح اليوم فقط ، بل ان هذا الحب بدوره ليس شيئا مؤكدا • أنا مجنونة اذ أفصحت عن كل هذا • ان ما حدث بيننا ، لابد انه يحدث كل يوم ولكن الناس يكتفون باطلاق زفرة طويلة ويقولون وا أسفاه لقد فات الأوان • ثم يكتفون بعد ذلك بالنظر الى بعضهم البعض بنظرات غامضة ، طوال سنين وسنين • ان مثل تلك الحوادث تبقى فى طى الكتمان وهى ما يسمونها بأسرار العائلات •

(يسمع صفير « لوسيان » بالخارج • يخرج فجأة من بين طيات الليل ويظهر خلفهما) •

لوسيان : ماذا هناك ياأولاد ؟ أتشاهدان الوالد وهو يغط فى نومه ؟

(يقترب)

ألا تشعركما تلك الجثة بفمها الفاغر بالقشعريرة ؟ يالعلامات الدهشة التى ترتسم على وجهه • أهذه اذن الحياة ؟

لم ينبهنى أحد الى حقيقتهـا من قبل ٠ ولكن فات الأوان ، يا صـديقى ، لقد فات الأوان ٠ نم اذن ٠ لتنعم أنت الآخر بنصـيبك من راحة الموتى ٠ ولكن أرجو ألا تشخر ثانية والا صفرت ٠ فأنا لا أحب الموتى الصاخبين ٠

(ينظر اليهما)

ألا تشعران بالسأم أنتما الاثنان وأنتما بمفردكما هكذا؟
(ينظر الى المرأتين الأخريين اللتين نراهما تروحان وتغدوان فى المطبخ المضاء فى آخر المسرح) ٠

انظرا الى هاتين النملتين ٠ انهمـا تفركان وتلمعان الأوانى بالمطبخ ، وهما تتصوران أنهما قد أمسكتا بين يديهما بالحقيقة كما تمسكان بمقبض اناء من أوانى المطبخ ، وهما لا تشكان فى شىء ٠ ان قلبهما يمقتنا ، فهما تعرفان ان قذارتنا سوف تسود هذا المكان بمجرد رحيلهما ـ وربما فاتهما القطار من أجل أن تنظفا كل شىء قبل أن ترحلا ـ ولكن لا بأس ، فهما لاتريدان أن يقال انهما قد تركتا مطبخنا قذرا ٠٠ ان كـلا منـا له طريقة فى التباهى بقدراته ، أليس كذلك ؟ وأنت يا أختى الصغيرة بماذا تتباهين اذن ؟

(صمت لا يجيبه الآخران ٠ يقترب ليملأ كأسا من النبيذعلى المائدة)

وسيان : انى معجب كل الاعجاب بربات البيوت فهن يعطوننا صورة حية للموت ٠ كم تبدو مضـحكة تلك المخلوقات المسكينة عندما نراها على بعد وهى تفرك وتفرك دون ملل، نفس الركن من الغرفة يوما بعد يوم ، لسنوات وسنوات وهن يستنشقن فى كل مسـاء رائحة نفس الغبار ٠٠ ان ربة البيت يجف

عودها وتبلى وتتجعد وتتلف ثم ينحنى ظهرها وتهلك من شدة الارهاق ذات مساء عقب محاولة أخيرة لتنظيف نفس الركن٠٠ وعندئذ ، وفى ذلك الركن ، الذى لم يتغير ولم ينل منه الزمن أكثر وعيا واستمساكا بكيانه ـ تعود طبقة جديدة من الغبار ، طبقة ملحة تأتى لتستقر فوقه الى الأبد ٠

(يتمطى ويتثاءب ثم يحتسى كأسا أخرى)

والمرء يتساءل : ماذا فى امكان تلك المخلوقات المسكينة؟ أليس فى استطاعتها أن تمارس أعمالا أخرى ؟ ماذا تفعل اذن ، أتمارس الحب ؟

(ينهض)

ولكن ليس فى استطاعة الناس جميعا أن يمارسوا الحب، فالأمر عندئذ يصبح مهزلة ٠ أليس كذلك يازوج أختى العزيز ؟

(نسمعه وهو يضحك فى سخرية فى الظلام ثم يختفى عن الأنظار وهو يصفر لحنا عسكريا يرمز الى نداء الجنود بالقشلاقات ، ويتلاشى صوته وهو يبتعد فى الحديقة) ٠

فردريك : (فجأة فى صوت مكتوم) الحب ! أيتصور اذن أن الحب لا يتطلب مناكفاحا مستمرا يوما بعد يوم ؟

جانيت : (تبتسم وقد بدا عليها الارهاق والسأم) ان الحب يتطلب كفاحا يوميا ، ولكن ليس مثل الكفاح المرير الذى تطلبه منا فى هذا اليوم ٠٠ لن أستطيع معاودة هذا ٠

فردريك : (يبتسم بدوره وقد بدا عليه أيضا الارهاق والسأم) نعم لقد كان هذا اليوم قاسيا ٠

(صمت ثم يردف قائلا) ٠

وأمامنا أيضـــا ليلة بطولها ٠ ثم نستيقظ من جديد لنجابه يوما آخر ٠

جانيت : أما أنا ، الفتاة الشريرة ، فلن أتحرك من سريرى ، سوف أختفى تحت أغطيتى حتى عينى ٠٠ سوف يحضر والدى فى الصباح ويصرخ قليلا عند باب غرفتى ثم سيضطر بعد قليل الى ان يسخن بنفسه ما تبقى من قهوة قديمة ٠ ثم عند الظهر سوف يعاود صراخه من جديد عندما يهم بفتح علبة من علب الساردين فلا يجد مفتاحا يفتحها به ٠ وســـوف أصمت كالموتى حتى يحل الليل ٠

فردريك : وبعد أن تقتلى اليوم الأول سوف تقتلين الأيام الأخرى يوما بعد يوم ٠

(يصرخ فجأة)

لن أحتمل ذلك ٠

(تنظر اليه جانيت ٠ ثم يستمر قائلا) :

انى أرتضى الصراع ، ولكنى لا أحتمـــل صراعا مع قطعة من نفسى تصرخ داخل أحشائى انى أرتضى الصراع ولكنى عاجز عن الصراع مع تلك السعادة التى تغمرنى ٠

(ينظر اليها ثم يصرخ مرة أخرى)

أواه ! كم أنت بعيدة عنى وأنت بالناحية الاخرى من المائدة ٠ كم كنت بعيدة عنى طوال هذا اليوم !

جانيت : لم يكن هناك مفر ٠ ما الذى كان يحدث لو أنك لمستنى مجرد لمسة ؟

فردريك : لقد تصارعنا طوال هذا اليوم دون أن يلمس أحدنا الآخر ، ودون أن يجرؤ أحدنا على مجرد النظر الى الآخر . ولكننا مع هذا كنا كمن يتدحرج على الأرض . كان كل منا يكتم أنفاس الآخر دون أن تبدو منه حركة واحدة ، ودون أن يطلق صرخة واحدة ، بينما الآخرون يحدثوننا .. أوه ! كم أنت بعيدة . ومع ذلك لن تكونى أبدا أقرب مما أنت الآن .

جانيت : لا ، أبدا .

فردريك : أبدا ، ولا حتى بفكرك .. يجب ألا يلمس أحدنا الآخر ، أبدا ، اذا أردنا أن نبدو أقوياء ، ويجب ألا يتخيل احدنا الآخر بين ذراعيه .. أبدا ..

جانيت : (وهى مغمضة عينيها ، تقول دون أن تبدر منها أية حركة) يجب ألا يحدث هذا باكر . أما هذا المساء ، فأنا فعلا بين ذراعيك .

(صمت . وبعد لحظة يتنهد « فردريك » ويقول وهو مغمض عينيه)

فردريك : كان اليأس قد بلغ بى مداه .. أواه ! . لا تتحركى . كم هو جميل أن يشعر المرء فجأة بأن ماكان يرهقه ويتعسه ليس شرا كما كان يتخيل .

(لاتزال جانيت مغمضة عينيها . سوف يستمران فى الحديث وهما بعيدان ، دون أن يأتى أحدهما بحركة) .

جانيت : نعم ، هذا الاحساس جميل .

(صمت من جديد)

فردريك : (فى زفرة) أهذا ممكن اذن ؟ لكأنى أشرب ماء عذبا • كم كنت ظمآن •

جانيت : ونا بدورى كنت ظمأى •

(صمت ثم تقول جانيت فى صوت محموم)

ربما احسنا صنعا لو أننا استدعيناهم الآن : لو أيقظنا أبى أو لو أننا خرجنا مع « لوسيان » يجب أن يكون هناك شخص ما معنا •

فردريك : (يصرخ فجأة) انتظرى انى أشعر بألم شديد • لم آكن أعرف من قبل معنى أن يشعر الانسان بألم شديد •

(يفتح عينيه ويخطو خطوه ثم يسأل)

من هذا الرجل ؟

جانيت : أى رجل ؟

فردريك : عشيقك •

جانيت : (تخطو خطوة الى الوراء فى الظلمة التى تسود الحجرة) أى عشيق ؟ ليس لى عشيق •

فردريك : لقـــد اعترفت لى بذلك منذ لحظة • من هذا الرجل الذى اعتدت أن تذهبى للقائه كل ليلة فى بيته ؟

جانيت : (تصيح) ومن أخبرك انى كنت أذهب للقائه كل ليلة ؟ أتصدق ما يقوله لك الآخرون ؟

فردريك : انت نفسك التى أخبرتنى بذلك •

جانيت : كنت أكذب عليك • لم يكن هـــذا الا كذبا • أصدقت ؟ ليس لى عشيق •

فردريك : ولم قلت هذا اذن ؟ انى أصدق كل ما يقال .

جانيت : لقد قلته لكى تصغى الى فأنت لم تكن تفكر الا فى الهرب لم تكن تفكر الا فى وسيلة تمكنك من أن تبغضنى بكل قواك .

فردريك : وكانت كل قواى تؤكد لى عجزى . كانت قواى كلها تخوننى الواحدة تلو الأخرى . لم أعد أتعرف على قواى هذه فى هذا المساء ، لكأنها قوى غريبة على فهى لم تعد تسعفنى، ولم تعد تمد لى يد المساعدة . ماذا كان بتلك البرقية ؟

جانيت : أية برقية ؟

فردريك : تلك التى مزقتها منذ قليل ؟

جانيت : انك تخيفنى ، لكأنك قاض ، ها أنت تذكر أنى قد تسلمت برقية وأنى قد مزقتها . أنت لا تنسى شيئا .

فردريك : لقد أصبت . كنت فيما مضى سريع النسيان . كنت أنسى أسماء الشوارع والأرقام والاهانات والوجوه وكانت جوليا تسخر منى . أما الآن فلم أعد أنسى شيئا . فأنا أرى كل شىء فى مكانه الصحيح وعليه بطاقة تحمل اسمه وصفاته وعلامة استفهام كبرى . كم هى مرهقة هذه الحياة بحساباتها ودقائقها ! ماذا كان بتلك البرقية ؟

جانيت : وكيف يتسنى لى أن أجيبك . لقد رأيتنى بنفسك وأنا أمزقها دون أن أفتحها .

فردريك : اجمعى أجزاءها الملقاة على الأرض واقرئيها .

جانيت : لم أعد أعرف أين ألقيت بها .

فردريك : أما أنا فأعرف ، أنها تحت قدميك ٠

جانيت : الظلام شديد ولن أتمكن من قراءتها ٠

فردريك : سوف أضيء الأنوار ٠

جانيت : (تصرخ فجأة) لا ، أرجوك ، لا تضيء الأنوار ولا تضطرني الى القراءة ٠ لا تضطرني الى النظر اليك ومواجهة نظرتك ٠ الأفضل أن تصدقني ٠ يكون الأمر أسهل بكثير لو أنك صدقتني ونحن في هذا الظلام ٠

فردريك : ان كل ما أرجوه هو تصديق ما تقولين ٠ أتمنى أن أصدق قولك كما لو كنت طفلا ساذجا ٠ أو زنجيا محدود الأفق ٠ كل شيء يصرخ في أعماقي طالبا مني أن أصدقك ٠ ألا تسمع اذن تلك الصرخات في الخارج ؟ ولكنني عاجز عن تصديقك فأنت تكذبين دائما ٠

جانيت : نعم ، أنا أكذب دائما ، ولكن لابد من أن تصدقني رغم ذلك ٠ ليست تلك أكاذيب حقيقية فلو أني منحت قليلا من الحظ لكان كل ما أقوله صدقا ٠ ولو أنك أردت لأمكن أن يصبح كل شيء صدقا وحقيقة ٠ أوه ، أرجوك أن تصدقني ٠ ان دورك انت أسهل من دوري بكثير فهو لا يتطلب منك سوى أن ترغب ٠٠

فردريك : أني راغب ، اني راغب بكل ما أوتيت من قوة، كما يحدث في الأحلام ، ولكنني عاجز ٠ من ذا الذي أرسل لك تلك البرقية ؟

جانيت : أترى ؟ أنت لا تكف عن توجيه الأسئلة ، ولذا لا أجدمناصا من الكذب لكسب الوقت ٠

فردريك : ولماذا تريدين كسب الوقت ؟

جانيت : مازال كل شيء هشا حتى الآن · لم يحن وقت الكلام بعد · سوف يتعرف كل منا على الآخر باكرا · وربما أصبحنا باكرا أقوى من الكلمات · أوه ! ألا يمكنك الانتظار؟ ألا يمكنك أن تنتظر قليلا ؟ كم أشعر بعجزى وفقرى أمامك فى تلك الليلة ؟ ان كل متاعى لا يساوى شيئا فأنا كالمتسولة أمامك · وأنا أطلب منك أن تمنحنى شيئا ·· أن تهبنى سكوتك ·

فردريك : (فى صوت محموم) ليس هذا بامكانى ·

جانيت : وجه لى اذن أسئلة أخرى ·· أسألنى : لم أشعر بالقشعريرة وأنا أتحدث اليك ؟ ولم أبكى وأنا أكذبك القول؟ ولم يرتج على القول ، أنا التى أفخر دائما بثباتى والتى تسخر مع الساخرين ؟

فردريك : ليس هذا فى امكانى · انى أصر على معرفة اسم الآخرين، أصر على معرفة كل تلك الحقائق التى ستؤلمنى ·

جانيت : (تأتى فجأة بحركة تدل على اليأس وتصرخ قائلة) اذن ، ليكن ما يكون مادمت تصر · خذنى اذا أردت بعارى أو ألق بى جانبا · لابد لك الآن من أن تتحمل نصيبك من العذاب فأنا لم أعد قادرة على تحمله بمفردى يجب أن نقتسم ذلك العذاب · نعم ، كان كل ما قلته منذ قليل صحيحا · لى عشيق وهو بدون شك الذى بعث الى بتلك البرقية لكى يتوسل الى كى لا أهجره ، وقد كان لى عشاق من قبل ، عشاق لم أحبهم ولم أكن أدرى أن هناك من يجب أن أنتظر مجيئه ، ان هناك شابا ، فى مكان ما على هذه الأرض ، لم

أكن أعرفه ، كنت فى كل مرة من تلك المرات أسلبه حقه ٠٠ هاهى الحقيقة هاأنت تعرف كل شيء الآن وهناك شيء آخر : لست أملك سلاحا يمكن أن أدافع به عن نفسى آلا الكذب ٠

(صمت)

ها أنت تلزم الصمت ٠ انك تقف بجانبى وأنا أسمع صوت تنفسك فى هذا الظلام وأشـــعر أن جوليا فى تلك اللحظة كبقعة كبيرة بيضاء داخل نفسك ٠ لا يمكنك أبدا أن تحب تلك الكاذبة كما تحب جوليا ، أليس كذلك ؟

(ثم تضيف فى صوت خفيض)

ومع ذلك فأنا بعارى وكـــل ماضى والشر الكامن فى قلبى ، أكاد أكون فتاة عذراء ، وأنا أمامك هنا فى تلك اللحظة ـ وهى حقيقة لن يتصورها الآخرون أبدا ـ وانى أمامك كعذراء ولكن بدون باقات من الزهور وبدون غلالة بيضاء على وجهى وبدون تلك البراءة التى تتحلى بها العذارى وليس ورائى أطفـال يمسكون بثوب العرس ، فأنا خطيبة ملطخة بالسواد ٠٠

(تضيف بصوت أضعف ، ان كان يمكن أن يزداد ضـــعفا عما كان عليه)

وتلك الخطيبة رهن اشـــارتك ان أنت تنازلت وألقيت نظرة اليها ٠

(فجأة يخطو « فردريك » خطوة الى الأمام ويحتضنها بقـوة فتفلت من بين ذراعية وهى تصرخ كالوحش الصغير الجريح وتهرب ٠ يبقى وحيدا مســمرا فى مكانه فى تلك الحجرة المظلمة ٠ تدخل الأم وتضىء المصباح بالمفتاح الذى يتدلى منه فيصدر عنه ضوء خافت حزين)٠

الأم : ان المرء ليعجز عن الرؤية هنا . ماذا تفعل فى هــذا الظلام الدامس ؟

(ترتب أدوات المائدة فى الصوان « البوفيه »)

لقد انتهينا أخيرا . أن مطبخهم لن يكون أبدا أنظف مما هو عليه الآن . يال « جوليا » المسكينة . لقد كانت الدموع تترقرق فى عينيها .. وأنا أفهم شعورها حق الفهم ، فهى لا تشبههم فى شىء . آه ! لو كنت رحلت هــذا الصباح ! فقد فعلت ذلك من أجلها هى .. ولكن حمدا لله . فقد انتهى كل شىء الآن . لقد قمنا بما كان يجب أن نقوم به وســوف نرحل ثلاثتنا وأرجو ألا نراهم قريبا . ولكن ماذا بك ؟ كم أنت شاحب ! هل تشعر بشىء ؟

فردريك : لا يا أماه .

الأم : أيكون شحوبك بسبب تلك الاضاءة السيئة ؟

(تنظر الى الأب)

انه نائم ، ذلك الأفاق العجوز . وعلى العموم أعتقد أنه، فى هذا الثالوث ، أقلهم سوءا أرأيت وقاحة الأخرى ،وكيف تركتنى مع جوليا نقوم عنهــا بتنسيق كل شىء ؟ ســنحاول ألا ندعوها الى الزفاف ، و « جوليا » تشاطرنى هذا الرأى . لن يتصور أعمامك أبدا أنه يمكن أن أسمح لك بالزواج من أخت فتاة كهــذه . يال « جوليا » المســكينة ! كم تعذبت بسببها ! ولكن كفاها مالقيته حتى الآن .

(تعود الى المطبخ وهى تنادى بصوت عال على « جوليا » التى نلمحها فى آخر المسرح) .

يجب يا صغيرتى أن نكتفى بما فعلنا وأن يتكفلوا هم بالباقى وإلا فاتنا القطار ·

(تختفى مع جوليا فى المطبخ · لم يتحرك «فردريك» · يفتح الباب فجأة وتظهر « جانيت » سوف يتحادثان فى صــوت خفيض الآن كالمذنبين) ·

جانيت : ماذا سنفعل الآن ؟

فردريك : يجب أن نخبرها ·

جانيت : أما الآن وقد أصبحت أنا الأقوى ، فأنا أشعر بالخجل · نادها أنت ·

فردريك : (ينادى بصوت يكاد أن يكون خفيضا) جوليا ·

جانيت : ارفع صوتك · لا يمكن أن تسمعك ··
(تصيح)
انتظر · ان ما نفعله لأمر فظيع ·

فردريك : نعم · انه فظيع ·

جانيت : لن يتمكن كائن من كان من فهم حقيقــة ما جرى ، ولن يغفر لنا الناس فعلتنا أبدا ، أليس كذلك ؟

فردريك : لا ، لن يغفر لنا أحد ·

جانيت : اننا واقفان هنا كمجرمين لا يجرؤ أحدهما على النظر الى الآخر · ولكن لابد مما ليس منه بد · ان الأمر سيكون أفظع لو أننا لم نوضح موقفنا ·

فردريك : وباكر سوف تفوت الفرصة ·
(ينادى بصوت اضعف)
جوليا

جانيت : (تتجه نحوه وتحتضنه) انتظر • سوف تفقدك • ستعرف فجأة انها لن تحوطك بعد الآن بذراعيها • انى أحاول تخيل ذلك الموقف • ألا يتمكن الانسان من احتضان أى شىء •

فردريك : كان هذا هو موقفنا منذ قليل •

جانيت : (تقول فى صرخة) لم أعد أذكر شيئا مما حدث • أواه ! كم يشعر كلانا بالسعادة • متى حدث هذا ؟ أكان أمس ، عندما لم يكن أحدنا يعرف الآخر بعد ؟

فردريك : لم أعد أعرف • يجب أن نستدعيها •

جانيت : انتظر •

(تصرخ مرة أخرى قائلة)

أواه ! أواه آه ، لو انك لم تعرفها أبدا ! آه ، لو كنت قابلتنى أنا قبلها • ها أنا ألمسك ، ها أنا ألمسك حقا • عفوا يا « جوليا » ، فان هذا الاحساس جميل حقا •

فردريك : (وهو ينظر أمامه الى مكان سحيق) يجب ألا نطلب عفوها وألا نحاول شرح الأمر لها ، بل يجب أن نخبرها بالأمر بسرعة كما يفعل المرء عندما ينهال بمطرقة ، يجب أن نقضى عليها ونهرب •

جانيت : كم تحبها • أما زلت تحبها ؟

فردريك : نعم •

(ينادى بصوت مسموع فى تلك المرة)

جوليا •

جوليا : (تظهر على عتبة المطبخ وهى تمسك فى يدها بقطعة من البياضات) أتستدعينى ؟

فردريك : (بصوت أضعف) نعم يا جوليا ٠

(ترك كل منهما الآخر ٠ وهما واقفان جنبا الى جنب وينظران أمامهما ٠ تدخل جوليا وتتفرس فيهما)

جوليا : ماذا هناك ؟

فردريك : (يبدأ الحديث) الأمر « يا جوليا » ٠٠ سوف يكون الأمر عسيرا ، ولن تفهمى حقيقة ما حدث بكل تأكيد ٠ لن أتزوجك يا « جوليا »

جوليا : (تتسمر فى مكانها فى بادىء الأمر ثم تضع قطعة البياضات على مقعد ، وتنظر الى جانيت وتسأل) ما الذى قالته لك ؟

فردريك : لم تفعل شيئا ٠ ان هذا الأمر سيفوق ادراكك ٠ ستعجزين عن فهم حقيقة ما حدث ، ولن تفهمى أبدا ٠ ليس الذنب ذنبنا ٠ لقد قاوم كل منا منذ هذا الصباح ٠

جوليا : قاوم كل منكما ! من ذا الذى قاوم ؟

فردريك : (وهو يأتى بحركة) كل منا ٠ سوف ترحلين مع أمى يا « جوليا » أما أنا فسأبقى ٠

جوليا : وأين ستبقى ؟

فردريك : أو اذا فضلت أن تبقى أنت ، فسوف نرحل نحن الاثنان

جوليا : سترحلان ؟ من ذا الذى سيرحل ؟

(لا يجيبان فتردف بصوت أضعف)

أعندما تقول ، نحن الاثنان ، لا تعنينا أنت وأنا ؟ عمن تتحدث اذن عندما تقول سنرحل ؟

(لا يجيبان)

انكما تحاولان مداعبتى واشعارى بالخوف وسوف تنفجران فى الضحك بعد هذا ، أليس كذلك ؟ أو لعلكما كنتما تتوقعان أن أسبقكما الى الضحك ، أهذا غرضكما ؟

(تحاول أن تضحك ولكنها لا توفق فى ذلك ثم تكف عن تلك المحاولة تحت وطأة نظراتهما)

جانيت : (فى رفق) سوف أسبب لك ألما يا « جوليا » . لقد كانت كل منا تكره الأخرى منذ نعومة أظفارنا ولكنى اليوم أريد أن أتضاءل أمامك يا « جوليا » وأن أنسى كبريائى ، وأبدو أقل شأنا من خادمة لك .

جوليا : اخلعى عنك قناع الرقة هذا فانك تخيفيننى أشد الخوف

جانيت : لقد تشاجرنا طوال حياتنا وحاولت كل منا أن تنتزع من الأخرى كل ماتملك : لعبها وحتى خرقها . أما اليوم فأناأريد مخلصة أن أتنازل عن كل ما أملك ، ولكنى للأسف لا أملك شيئا سوى ثيابى الممزقة ، أما هو ، فأنا عاجزة عن ان أمنحه اياك . كان بودى أن أشوه شكلى وأن أقص شعرى وأن أصبح قبيحة حتى أهون من ألمك . ولكنى لن أفعل من أجله هو ، حتى لا أبدو قبيحة فى نظره .

جوليا : أتتصورين اذن ان فى استطاعتهأن يحبك ؟ انك ترمزين الى كل ما يبغضه فى هذا العالم .

جانيت : (فى تواضع) لقد أصبت يا جوليا .

جوليا : انت الفوضى بعينها ، أنت الكذب المجسم ، أنت رمز للكسل •

جانيت : لقد أصبت يا جوليا •

جوليا : أيمكن أن يحبك ، وهو على هذا النقاء ، وهو الذى لا يرتضى الا الكمال فى كل شىء ، هو رمز الشرف • أتمزحين ؟ هل أخبرته ان كان لك عشاق ؟

جانيت : نعم ، لقد أخبرته •

جوليا : وهل كلمته عن آخر عشاقك ، عن هذا الذى يعولك ويدفع لك ثمن استسلامك ؟ أنا واثقة أنك لم تكلميه عن هذا العشيق الأخير •

جانيت : (تصيح فجأة بقوة حتى لتعجز عن التعرف عليها) شكرا لك يا جوليا •

جوليا : ولم الشكر ؟

جانيت : ها أنت أصبحت شريرة بدورك ، أخيرا •

جوليا : اكنتما تأملان مثلا ألا أحاول الدفاع عن نفسى ؟ هل طوتك بألاعيبها ؟ هل احتكت بك وحاولت اغراءك كما تفعل مع الآخرين ؟ هل عرضت عليك فمها لتقبلها فى ركن من أركان البيت ؟ أو لعلها فعلت ذلك فوق رمال الغابة ؟

فردريك : (يقول فى صرخة) لم نختل ببعض ، بل ولم يكلم أحدنا الآخر ؟

جوليا : أوه ! ان من كانت مثلها لا تحتاج الى وقت طويل ولا الى الأحاديث الطويلة لكى توقع الرجال فى شباكها • ما عليك الا أن تسألها عما كانت تفعله كل مساء ، مع الصيادين

بجانب قواربهم ، وما كانت تفعله معهم فوق شباكهم التى تفوح منها رائحة السمك ٠

جانيت : شكرا لك يا « جوليا » شكرا ٠

جوليا : احتفظى بشكرك لنفسك أيتها السارقة ٠

جانيت : أما الآن وأنا أراك تدافعين عن نفسك ، لم أعد أشعر بالخجل ٠ شكرا يا « جوليا » ٠

فردريك : (يريد أن يبعد جانيت) صه ، أبعدى عنها ٠

جانيت : كان فى امكانك أن تنخرطى فى البكاء ، وأن يغمرك الحزن، لعله يشفق عليك ، ولكنك بدلا من ذلك انبريت للدفاع عن نفسك كامرأة يحاولون سرقتها ٠٠

جوليا : انك سارقة ، نعم أنت لصة ٠

فردريك : لتسكتا أنتما الاثنتان ٠

جوليا : أسكت ؟ أتطلب منى السكوت ؟ أهى تسرقك منى وتطالبنى بالسكوت أيضا ؟

جانيت : كم أنت حمقاء يا « جوليا » ! لقد تصلبت عضلاتك وثارت كرامتك ٠ وأنت لا تفكرين الا فى تلك الكراهية التى تملأ قلبك ٠ أنت لا تفكرين الا فى هذا الأذى الذى لحق بك ، الأجدر بك أن تنخرطى فى البكاء ، ابك اذن ، وحاولى أن تستدرى شفقته ٠

جوليا : أعرف أن بكائى يسعدك ويلذلك ، ولهذا لا تتصورى ان أمكنك من الاستمتاع ببكائى ٠

جانيت : ابكى يا « جوليا » انه لا ينتظر منك الا البكاء فيضعف

ويستردك فهو مازال يحبك كما ترين · بل لا أقل من أن تنظرى اليه ·

جوليا : لا · لن أفعل ·

جانيت : انى أصرخ ، وشعرى مشعث ، وشكلى قبيح · ولا شك أننى لا أروق فى عينيه فى تلك اللحظة ، ولابد أنه الآن قد بدأ يفتقدك · ابك اذن ، آبك بسرعة يا « جوليا » ·

جوليا : لا · ! ستكون أمامى فسحة طويلة من الوقت للبكاء · انى أحتجز دموعى للحظة انفرادى بنفسى ·

جانيت : اذن حاولى أن تفقئى عينى · حاولى أن تدمينى بأظافرك أو انهالى على ضربا ، ولن أدافع عن نفسى · حاولى أن تأتى شيئا قبيحا بدورك ، حتى لا أنفرد بارتكاب الشر ، لم يعد يفكر الا فيك أنت ولم تعد آذناه تسمع الا صوتك ارتكبى عملا كريها ، ارتكبى عملا كريها والا قتلتك ، والا بصقت فى وجهك ·

(تهجم على « جوليا » يسرع « فردريك » بابعادها ويمسك بها بشدة فيؤلمها ويلقى بها بعيدا)

فردريك : كفى واتركيها الآن · انى آمرك ·

جانيت : (تصرخ صرخة الانتصار وهى بعيدة عنهما) لقد ضربنى· أترين ؟ لقد ضربنى · لقد ضربنى أنا لا أنت · أنا زوجته اذن ·

فردريك : (لجوليا فى رفق) اذهبى يا جوليا · أنت أفضل منها ، انى واثق من ذلك ، وربما ارتكبت كل ما اتهمتها به ولكنها قد أصابت . فهى التى أصبحت زوجتى الآن ·

جوليا : (تدور على أعقابها فجأة وتهرب الى المطبخ وهى تصيح بأعلى صوتها) يا أماه ! النجدة ، النجدة ..

جانيت : (عيناها مغمضتان . تقول فجأة فى صوت مبحوح) كم تكرهنى فى تلك اللحظة .

فردريك : (فى لهجة قاسية ، دون أن ينظر اليها) اصعدى الى غرفتك واحملى ما يتراءى لك حمله وانتظرينى بالخارج .

(تخرج جانيت . ويظهر « لوسيان » فجأة)

لوسيان : لعلك لن تفعل هذا ؟

فردريك : بلى ، وفى الحال .

لوسيان : لا تفعل هذا ، فان مثل تلك الأعمال مآلها الفشل .

فردريك : ولماذا ؟

لوسيان : لأنها تسعدنا ، وكل ما يسعدنا محرم علينا ، ألم تكن تعرف تلك الحقيقة اذن ؟

(يملأ لنفسه كأسا من النبيذ الأحمر)

خذ هذه الكأس ، ليست بشىء ذى بال ، ولكن مرور النبيذ بحلقنا يشعرنا ببعض الدفء كل هذا محرم علينا . ويجب أن ننتهز فرصة غفلة من الزمان .

(يفرغ الكأس فى حلقه)

هوب ! لعله لم يكن يتوقع تلك الفعلة ؟

فردريك : من ؟

لوسيان : (مشيرا الى السماء بأصبعه) القدر (١) كل مرة نشعر فيها بالسعادة ، تثور ثائرته فهو لا يحب ذلك ·

فردريك : أنت ثمل ·

لوسيان : لم أثمل للأسف فأنا لا أشعر بالثمالة الا فى ساعة متأخرة جدا من الليـل · لعلك لن تفعل تلك الفعلة · فستفشل لا محالة ·

فردريك : سوف نرى ·

لوسيان : انى أرى نهايتها منذ الآن ، بل انى أراك بعـد ثمانية أيام ، أراكما بعد شهرين ، وأرى ما ستصبحاه بعد عام · ان كل ذلك يمر أمامى كشريط الخيالة ، وهو شريط لقصة فظيعة لم يفت الأوان بعد · الحق ب « جوليا » وبأمك بالمطبخ وقل لهما انك كنت تحلم ليس الا ·

فردريك : ولكنى لم أحلم ·

لوسيان : انظر الى يا صديقى · لعلك لا تتوسم فى الطيبـة ورقة القلب ، صدقنى · لا تفعل هذا · لا تفعل هذا ، على الأقل من أجل جوليا ·

فردريك : لم يعد فى امكانى التفكير فى جوليا ·

لوسيان : لا يستحق الحب كل ذلك : ليس الا سرابا وكذبا وهراء أما هى ، فسوف تموت الآن حزنا · لا تفعل هذا · فهذا الحب لا يساوى ما سيسببه لها من ألم وهو لا يساوى كل ذلك

---

(١) ان تلك الاشارة فيها تطاول على السماء ولكننا رأينا أن نرمز الى ما يعنيه بالقدر ·

العنــاء ولا سيما ذلك العنــاء الذى نسببه للآخرين • الحب
لا يساوى شيئا ، لا يساوى دموع طفل لا تفعل هذا •

فردريك : سبق أن قلت كل هذا لنفسى ولكن فات الأوان الآن •

لوسيان : لا يمكن أن تكون قد قلت كل هذا لنفسك فأنت لا تعرف شيئا • أما أنا فأعرف ، أعرف كل شيء لقد تعلمت أشياء كثيرة وقد كلفتنى دراستى هذه ثمنا باهظا • وما زلت أدفع الثمن فقد اضطررت الى دفعه على أقساط ، أقساط لمدى الحياة •• ولكنى الآن على أية حال يمكننى أن أبدى رأيى، فقد حصلت على أعلى شهادة فى ذلك العلم النفسى وأصبحت علما من أعلامه • لا تفعل ذلك يا صديقى ، فان مآلك الفشــل لا محالة •

فردريك : ولماذا أفشل ؟

لوسيان : لا لسبب • لمجرد انها امرأة، ولأنه كتب علينا أن نعيش فى عزلة فى هذا العالم • لأن ذات مساء ، بعد شهر أو بعد عام أو بعد عشرة أعوام ، ذات مساء ربما يخيل اليك أنك قد حصلت على صديق صغير وأنك تحتضنه بين ذراعيك ، ثم سوف تتبين أنك كالآخرين وأنك لا تحتضن الا امرأة ، أى أنك لا تحتضن شيئا •

فردريك : كفى • صه أنت الآخر •

لوسيان : تزوج « جوليا » لتنجب أطفالا • ولتصبح رجلا ، رجلا ذا حرفة ، رجلا يملك مالا ، رجلا يتمكن فى مستقبل أيامه ، من أن تكون له صديقة ، ولن ينتقدك أحد عندئذ • لتكن رجلا حقيقيا ، ولا تحاول أن تتباهى بمقدرتك • ان ادراك السعادة أمر بسيط • هنــاك وسائل مدروسة لادراك السعادة وقد

جهدت البشرية قرونا وقرونا لتهتدى الى تلك الوسائل ٠
حاول يا صديقى اذن أن تغش ، غش فى كل شىء ، وبخاصة
حاول أن تخدع نفسك، سوف تموت اذن٠ سوف يفيدك هذا
الدرس ويفيد الآخرين ٠ الموت لك ٠ الموت ٠ الموت ٠ الموت٠
أقرأت تلك الصفحة الصغيرة على ظهر كتيب الجندية الذى
يتوعدون فيه الشباب المنخرط فى سلك الجيش بكل صنوف
الموت يقدمونه له فى كل ألوان المرق ؟ هذا هو الحب ٠

جانيت : (تظهر مرتدية معطفا وقبعة بسيطة « بيريه » ولفافة بها بعض متاعها) هأنذا ٠٠ اننى على أهبة الاستعداد ٠

فردريك : تعـالى ٠

(يمسكها من يدها ويخرجان وتبتلعهما الظلمات ٠ لم يتحرك « لوسيان » يفرغ ما تبقى من زجاجة النبيذ فى كأسه ويرفعها الى السماء ويقول مستأذنا)

لوسيان : فى صحتهما ٠ أتسمحين ؟

الأب : (الذى يوقظه ذلك السكون والذى يأبى الظهور بمظهر النائم) اذن يا أولاد ماذا فعلتم ؟ هل أوشك كل شىء على الانتهاء ؟

لوسيان : (ينظر اليه ويبتسم ويقول) عما قليل يا أبى ٠ بل كل شىء سيبدأ الآن ٠

ســـتار

الفصـــل الثالث

استراحة مهجورة فى الغابة . الحجرة خاوية تماما . يرى حطام سـلم فى الحائط الذى فى نهاية الحجـرة . هناك أريكة مقلوبة على الأرض ، نرى على النافذة التى جردت من ألواح الزجاج سـتارا ينتفخ بفعـل الريح الشـديدة . الحجرة تسـبح فى الظلام ويسـمع هبوب العاصـفة فى الخارج .. تدخل « جانيت » فى صـحبة « فردريك » وماء المطر يتساقط من ملابسهما .

جانيت : لندخل سوف نكون هنا فى مأمن من المطر .

(يدخلان ويسود الهدوء بعد أن يغلقا الباب)

انها استراحة بالغابة هجرها أصحابها منذ وقت طويل ، وأنا آتى لأحتمى بها أحيانا عندما تفاجئنى الأمطار .

(تمر لحظة . يقفان فى وسط الحجرة فى الظلام . ثم تقول فى صوت خفيض)

ان انتظار الصباح هنا أفضل من انتظاره بالمحطة .

(صمت . تهب الريح فترفع الستار)

فردريك : (يتمتم) يا لها من عاصفة !

جانيت : نعم . لم تعد هناك ألواح زجاج بالنافذة .

(لحظة سكون ثم تردف)

أرجو أن تشعل بعض أعواد الثقاب فهناك مصباح من تلك المصابيح المعدة للعواصف ، فى ذلك الركن من الحجرة ٠

(يعطيها علبة أعواد الثقاب فتشعل المصباح)

ان صاحب الكوخ فى غاية اللطف ٠ لقد ترك ذلك المصباح لعلمه بأنى آتى الى هنا أحيانا ٠

فردريك : أتعرفينه ؟

جانيت : ان معرفتى به طفيفة ٠

(تضغط الستار المنتفخة من أثر الريح ، بلوح من الخشب)

ما دمنا قد أضأنا المصباح فالأفضل لنا أن نغلق الستار فان الضوء يرى على بعد فى الغابة ٠

(ينظر حوله ٠ تتجه هى الى الأريكة وترفعها)

لن نجد هنا الا تلك الأريكة العتيقة المحطمة ولكنها مع ذلك مازالت تقف على أرجلها ٠

(يرى السلم فيسأل)

فردريك : وماذا هناك فى الطابق العلوى ؟

(تقول بعد تردد)

جانيت : هناك حجرة كالمخزن بها سجادة عتيقة على الأرض وستائر قديمة من نسيج أحمر اللون ، أكلته العتة ، وقد علقتها على جدران الحجرة ، كما أنَّ هناك حقيبة قديمة أستعملها كمنضدة ٠ سوف أريك كل هذا عما قليل ٠

(تمر فترة سكون ٠ يقف كل منهما فى مواجهة الآخر ولا يجرآن على الحركة فهما متسمران فى مكانهما ٠ تتمتم بعد قليل)

جانيت : هذا كل ما هنالك ·

فردريك : حسن ··

(صمت · لا يتحركان · انهما يشعران بالضيق · يسمع صوت العاصفة · تكرر جانيت)

جانيت : ان انتظارنا الصباح هنا على أية حال أفضل لنا من انتظاره بالمحطة ·

فردريك : آترتجفين ؟ ·

جانيت : نعم ·

فردريك : ان ملابسك مبللة تماما ·· هل تشعرين بالبرد ؟

جانيت : لا ، لا أشعر بالبرد · معطفى فقط هو الذى أصابه البلل·
اخلع سترتك لتجف · سوف آتيك بشىء من الطابق العلوى·
(تصعد فى خفة وتختفى · نسمع وقع أقدامها بالطابق العلوى
يخلع «فردريك» سترته · تنزل حاملة غطاء تلقى به على كتفيه)
ابق كذلك · كم أنت جميل هكذا · لكأنك فى تلك الهيئة
زعيم من زعماء قبائل الهنود الحمر ·

(أراد أن يحتضنها ولكنها أفلتت من بين ذراعيه فى حركة رشيقة · وتقول فى صوت خفيض)

انى خائفة ··

فردريك : (برفق) وأنا بدورى خائف ··

(تمر لحظة سكون ·· ثم تبتسم جانيت وتقول)

جانيت : أأنا التى أخيفك بشعرى المبلل ؟ انى قبيحة أليس كذلك ؟

فردريك : لا ··

جانيت : لطالما قالوا انى أبدو كالمجنونة عندمـــا يتســاقط المطر فوق شـعرى ٠

فردريك : ومن هم « هؤلاء » الذين قالوا هذا ؟

جانيت : الآخرون ٠٠
(ثم تقول مصححة)
النــاس ٠٠

فردريك : بل انك تبدين كابنة الغابة ٠٠

جانيت : كم كنت أحب أن أكون « ابنة الغابة » ، وألا أمشط شعرى أبدا وأن أصيح بالسباب لمن يمرون من تحتى وأنا وحـــدى فوق فروع الأشجار ٠ لم توجد أبدا تلك الفتاة التى يسمونها « ابنة الغابة » ، أليس كذلك ؟٠٠

فردريك : لست أدرى ٠٠

(ترفع نظرها اليه وتبدو عليها فجأة سمات الجد ٠٠ وتقول)

جانيت : على العموم ، يبـــدو أنك تحب الفتيـــات اللائى يصففن شعورهن ويعنــين بها ويمشــطنها طويلا فى حجراتهن فى الصبـاح ٠

(تمر بأصابعها المنفرجة داخل شعره ثم فجـــأة ، تهرول مسرعة الى لفافتها الصغيرة وتنقب فيها باهتمام ٠ ثم تنهض واليأس باد على وجهها)

لا لم أحضر معى مشطا ٠ سوف أشترى فرشاة للشعر باكرا٠
(تقف فى مواجهته وتصيح فجأة)

سوف أمشط شعرى وأحسن تصفيفه ، بالطريقة التى لا أحبها والتى تحبها أنت ، سوف أمشطه كما تمشطه « جوليا » ٠

(يبقيان لحظة واقفين كل منهما فى مواجهة الآخر وقد بدا الارتباك عليهما ثم تخفض ناظريها وتقول ، وقد بدا عليها التواضع من جديد)

أطلب عفوك عما قلته ولكنى أود بكل قوتى ان أكون جميلة فى نظرك وأن أروق لك ٠

(لحظة صمت من جديد ثم تصيح قائلة)

انتظر ٠ حقا لم أحضر معى مشطا ولكنى على أية حال قد حملت معى شيئا آخر فى ذلك الصندوق من الورق المقوى ٠

(تمسك بصندوق من الورق المقوى كانت تحمله عند دخولها ثم تهرول صاعدة الى الطابق العلوى ٠ ويبقى « فردريك » وحده ويبدو عليه الارتباك والدهشة ٠ يسمع صوتها وهى تصرخ فى الطابق العلوى) ٠

أرجوك الا تنظر الى ما أفعله ٠ اذا أتيت بحركة لن أنزل ولن ترى شيئا على الاطلاق ٠ سوف يستغرق ما أفعله الآن بعض الوقت فانى محاطة بالظلام ٠

فردريك : أتحتاجين الى المصباح ؟

جانيت : لا ، شكرا لست فى حاجة اليه ٠ لاتتحرك من مكانك ٠

(ثم تسأله)

هل تشعر بالسأم من هذا الانتظار ؟

فردريك : لا ٠٠

جانيت : سوف أكافئك على انتظارك هذا ٠

(تمر فترة من السكون ، ولا يسمع صوتها ، ثم فجأة تظهر فى أعلى السلم فى ذلك الضوء العجيب الذى ينبعث من مصباح

العواصف . لقد ارتدت بسرعة ثوبا أبيض ، رقيقا لايتناسب مع المجال وان بقيت بنفس الحذاء الذى كانت تلبسه وهو من أحذية الفتيان . تبقى لحظة صـــامتة أمام « فردريك » الذى لا ينطق بكلمة ثم تصيح فجأة قائلة)

هأنذا الآن على وشك أن أموت من شدة الخجل . سوف أخلع هذا الثوب حالا .

فردريك : (فى صوت مبحوح) لا .

(لا تتحرك من مكانها ويسألها)

أحملت ذلك الثوب معك فى لفافتك الصغيرة ؟

جانيت : لم أحمله فى لفافتى الصغيرة ، لا ، بل لقد حملته فى ذلك الصندوق الكبير من الورق المقوى الذى كان يرتطم أثناء سيرنا بكل أشجار الغابة . وانه الشىء الثمين الوحيد الذى أملكه من حطام الدنيا .

فردريك : ولكنه ثوب عرس ..

جانيت : لا ، حقا انه ثوب أبيض ، ولكنه ثوب للرقص ، ثوب حقيقى للرقص ، كتلك الأثواب التى نراها على « كتالوجات » الأزياء .

(ثم تردف فى شىء من التلعثم)

ولـكنه ليس جديدا .. لقد اشتريته من أحد تجار الأشيـاء القديمة . كان يبيعه لقيمة النسيج نفسه . وكنت قد وفقت الى الحصول على بعض المـال من بيع بيض البط البرى الذى جمعته من بين أعواد البوص . أن بيض البـــط البرى نادر

الوجود فى تلك المنطقة · والناس هنا يحتضنون البط لاجباره على الفقس وذلك يجعله من فصيلة نادرة ·

(تشعر بأنه ربما تصور أنها تكذب · ولذا تضيف)

كنت قد كرست موسما بأكمله لبيع ذلك المحصول من البيض وحصلت على مبلغ من المال ، اذ أن من باعنى ذلك الثوب لم يعطنى اياه بدون مقابل طبعا · ثم ان هذا الثوب يبدو الآن كالثوب الجديد بعد أن أزلت ما كان عليه من بقع ·

(ينحبس صوتها فى حلقها · ولا ينبس هو بكلمة وينظر اليها فى صمت · وتقول هى فى صوت خفيض وهى تصعد السلم)

سوف أخلعه ·

فردريك : (فى صوت مبحوح)

لا ابقى به ·

(تنزل فى سكون وتقترب منه ولا تكف عن التحديق فيه ·· وعندما تقف بجانبه وبعد أن تمر لحظة انتظار ، يحتويها بين ذراعيه)

لا أبالى آن كان ذلك الثوب جديدا أم ان شخصا ما قد أعطاك اياه ·

جانيت : لم لا تصدقنى أبدا ؟ أنا واثقة انك انما تصدق كل ما تقوله لك « جوليا » ·

فردريك : نعم ، اصدق كل ما تقوله ·

جانيت : ولا تصدقنى أنا ؟

فردريك : نعم ، لا أصدقك ٠

جانيت : (وهي تفلت من بين ذراعيه)

اذن ، الحق بها ، فأنا بدوري أحب أن يصدقني الناس ٠٠٠
(تعود الى أحضانه)

لا ٠ لا تتحرك ٠ سوف أخبرك بالحقيقة ٠ اجلس

(تجلسه وتجلس عند قدميه)

الحقيقة انني لم أشتر ذلك الثوب بثمن ما بعته من بيض البط فقط بالطبع ، فان ثمنه كان يتطلب اذن عددا كبيرا جدا منه ، ولكن بيعه ساعدني على دفع جزء من ثمنه ، أما عن باقي الثمن فقد أخفيت عنك حقيقته ، لأني خشيت ألا تروقك ، كان والدي قد رهن أدوات المائدة الفضية في بنك الرهونات منذ وقت بعيد ٠ وكان قد دأب على أن يجدد الرهنية ولكن حل آخر ميعاد للسداد ٠ وقد سرقت منه من بين ايصالاته آخر ايصال وهي ايصالات كثيرة يزدحم بها أحد أدراجه ٠ وقد تسلمت الأدوات المرهونة بعد أن سددت قيمة الرهن بما عندي من ثمن بيع البيض وبعتها واشتريت ثوبي بثمنها ، فان أبي كان سيعجز على أية حال عن الحصول على قيمة تلك الرهنية وكان سيفقدها الى الأبد تبعا لذلك ٠ وعلى أية حال ، فقد تبقى لي بعد شراء الثوب قليل من النقود واشتريت له بما تبقى علبة سيجار ، علبة صغيرة ، فان ثمن العلبة الكبيرة باهظ ٠

(تمر فترة ثم تردف)

الآن وقد شرحت لك كيف حصلت على المال يمكنني أن أخبرك بالحقيقة كاملة ٠ لقد اشتريت الثوب من محل كبير

للأزياء بباريس ·· اخترته من « كتالوج » للأزياء وأرسلوه لى بالبريد تلك هى الحقيقة ·

(تمر فترة ثم تسأله)

أأنت حزين ؟

فردريك : لا ··

جانيت : أتصدقنى الآن ؟ ··

فردريك : نعـم ··

جانيت : (تطلق زفرة ورأسها يستند الى ركبتيه)

كم هو بسيط قول الحقيقة ولـكن المرء عادة يحاول أن يلف ويدور ··

فردريك : أرجوك الا تنسى ذلك ، حتى لا أتألم كثيرا ·

جانيت : أحقا تشعر بالألم ؟ ومع ذلك قلت لى منذ قليل انك لاتبالى ان كان ذلك الثوب جديدا أم شخصا ما قد أهداه لى ··

فردريك : (وهو مغمض العينين) لم أكن صادقا فيما قلت ·

جانيت : آه ، حسن · كم أنا سعيدة لو أنك أحببتنى فقط بتلك الطريقة ، ولو أنك لم تكن تشعر نحوى الا برغبة مؤقتـة وأغفلت الباقى لـكنت شـقية حقا · يجب أن تثق بى وأن تطالبنى بالحقيقة دائما ·

فردريك : أريد أن أثق فيك بكل ما أوتيت من قوة وأن اطالبـك بالحقيقة دائما ، فى كل صباح ، كما لو كنت أطلب قطعة من الخبز تقوم بأودى طوال النهار ·

جانيت : اتفقنا · سوف أخبرك بالحقيقة كل صباح عندما نستيقظ من نومنا · كم سيكون جميلا أن أمنحك كل يوم كل ماعندى

وكأنه متاع تحمله عنى . سوف أرفع هذا الثقل عن كاهلى فأشعر بالخفة والراحة . وفى كل مساء أيضا سوف أسلمك لفافتى الصغيرة التى اضمنها الحقيقة كلها قبل النوم . وبالطبع سوف يكون الأمر فى المساء أكثر تعقيدا .

فردريك : ولم .. ؟

جانيت : (وهى تتنهد)

لأن النهار طويل ولأنى أحبك بكل قوتى ولأنى أخشى أن أسبب لك أى حزن .

فردريك : وأى حزن آخر يمكن أن تسببيه غير الذى يسببه لى كذبك ؟

جانيت : أوه ! هناك أسباب أخرى كثيرة غير الكذب . ان الكذب ، قد يزعجنا ، ولكنه سرعان ما يزول كالسحابة الصغيرة ،دون أن يترك أثرا .. ولا تتصور أنى أتذكر كل كذباتى ، فلو أنى تذكرتها جميعا ، ولو أنها كانت ملتصقة بى كالذباب لكان الأمر عندئذ فظيعا حقا . ولكن بمجرد أن تمر سحابة الكذب ، أعود ملساء الملمس ، رقيقة الحاشية ، كما لو كان الحظ قد أسعدنى ولم أطالب بقول شىء يضطرنى الى الكذب، كما لو كنت قد بقيت ساكنة مغلقة الفم ، بريئة ، مطمئنة النفس . أتفهم ما أعنيه ؟

فردريك : (يقول فى زفرة) انى أحاول .

جانيت : لو أن المرء خطا خطوة صغيرة الى اليمين، يكون ذلك أحيانا شيئا محبوبا ، ولو أنه خطا خطوة صغيرة الى اليسار ، أرتكب عملا مشينا .. ان الأمر يحدث كما كان يحدث عندما كنا

صغار ، فقد كنا نتساءل دائما : أى خطوة تخطوها يرضون عنـــا .. !

(صمت .. ثم تسأله فجأة)

ليست امرأة مثلى تلك التى كنت تحلم بها . أليس كذلك ؟

فردريك : لا لم تكن مثلك بالضبط .

جانيت : ومع ذلك فأنا التى هنا فى تلك الليلة وليست غيرى .. وأنا التى تضع رأسها على ركبتيك ..

فردريك : نعم .. أنت ..

جانيت : أهذا ما يسمونه بالقدر ؟.

فردريك : ربما ..

جانيت : (فى تنهد يدل على مدى ارتياحها)
القدر شىء جميل حقـا ..

فردريك : (فى لهجة قاسية بعد لحظة صمت)

نعم ان القدر شىء جميل . ها هى « جوليا » هناك فى غرفتها وحيدة تنخرط فى البكاء وكل شىء قد تحطم من حولها وقلب رأسا على عقب ، ولـكن كل ذلك جميل . وهذا الشىء الذى تحطم فى أعماقى والذى سيؤلمنى ماحييت، جميل بدوره. كل شىء جميل كل شىء فيه لذة التسامح المفزعة وفيه رقة مخيفة.

جانيت : وما رأيك فى أن أبقى كما أنا ؟..

فردريك : هذا جميل بدوره . كان أهون الامور دون شك الا يكون أحدنا قد خلق للآخر . وأن يكون كل منا متناقضا فى كل شىء مع الآخر ، ولكن اضـــطررت الى أن أحب « جوليا » فى بادىء الأمر حتى ألقاك أنت خلالهـا ، انت التى لا تشبهينها فى شىء .

(صمت . ثم تقول في صوت خفيض)

جانيت : وكذلك عندما كنا صغارا ، ولا شك أن أحدنا لم يكن يشبه الآخر فى شىء .

فردريك : لا ، لم يكن أحدنا يشبه الآخر فى شىء .

جانيت : كنت أنت ولا شك على رأس فرقتك بالمدرسة ؟

فردريك : نعم .

جانيت : انى أتخيلك عندئذ بملابسك النظيفة وأنت تمسك بحقيبة كتبك . أما أنا فقد كنت قذرة الملابس ، شعثاء الشعر ، كان ثوبى مغطى بالبقع وكان شعرى ينسدل على عينى . وكنت أهرب من المدرسة لأنضم الى فريق الأوباش فى شجارهم .

فردريك : (يبتسم) .

انى أتخيلك وأنت فى تلك الهيئة .

جانيت : كنا نكون عصابة . وكانوا يسموننا « عصابة الآس السباتى » وقد وجهت الينا تهمة قتل غلام ذات مساء فى الشتاء ، بضربه بأحذيتنا الخشبية . كان منظرنا مخيفا وكنا نتباهى بما رسمناه على وجوهنا وأجسادنا من ألوان الوشم بالحبر وما كان عليها من آثار الجراح الحقيقية . بل كان لنا تعويذة ، عبارة عن ورق أحمر اللون كنا نمضغه فيملأ أجسامنا بالقوة على حد تصورنا ، وكنا نطلق على سحرنا هذا اسم « مبنينيستاتفيا » وأنا أتخيلك بدورك فى ذلك الوقت وأنت تتباهى بياقة قميصك النظيفة الناصعة .

فردريك : (وهو يبتسم) .

كنت ولا شك أتظاهر بأننى لا أراك ولا بد انى كنت أبغضك كان لنا بدورنا عصابتنا وكنا نسمى أنفسنا ب « القلوب الشجاعة » • وكانت لنا رتبنا العسكرية • كنا قد أقسمنا على تطهير البلاد من الأوباش •

جانيت : (وهى تضحك)

هذا ضرب من المستحيل أيها الشاب • سوف يبقى هؤلاء الأوباش فى كل زمان ومكان •

فردريك : كانوا يسرقون فاكهة آبائنا وكانوا لا يخجلون من أن يرى الناس ظهورهم العارية كما كانوا يضايقون شقيقاتنا ويشدون ضفائرهن •

جانيت : يا لضفائر الفتيات الجميلة ! لقد جعلت خصيصا لكى تشد •

فردريك : كنا قد صممنا على أن نقضى عليهم نهائيا وقد حددنا يوما للقائهم مساء الرابع عشر من يوليه • وكنا قد اتفقنا معهم على هدنة لمدة أسبوع ليستعد كل منا لذلك اللقاء ولكن آه لتلك الحيوانات القذرة • لقد تسلحوا بأمواس ثبتوها فى نهاية عصيهم •

جانيت : ونحن بدورنا كانت لنا معركتنا الكبيرة الفاصلة ، تلك التى تهشمت فيها ذراع « جولوديمارش » أما عن معركتنا فقد حددنا لها ليلة عيد القديس « جان » وقد رقصنا فى تلك الليلة كالمتوحشين ، قبل المعركة وقبل اطلاق النيران • وقد أعددت لنفسى قبضة حديدية من الطراز الامريكى مسلحة بمسامير أطلقتها بعنف فى مؤخرة معاون العمدة فقد استدعى الجبناء ذويهم ليساندوهم عندما أدركوا أنهم هالكون لامحالة

فردريك : ان عصابة القلوب الشجاعة لم يكن لدى أفرادهـا الا الحجارة والعصى وكنا نتصارع وصدورنا معرضة للعدو وكانت أسلحتنا أسلحة شريفة • كنا نحن الذين نحسن الرمايـة ونحكم الهدف • كم كان لذيذا سماع صيحاتهم عندما كنا نصيب أحدا منهم فى الظلام •

جانيت : (فى لهجة رقيقة)

لقد قذفتنى بحجر ذات مرة • وقد أصابنى وترك لى أثـرا بالغا ، تجويفا عميقا فى ركبتى اعطنى يدك (تحسسه) انه هنا •

(صمت • يضع « فردريك » يده على ركبتها ثم يقول فى لهجة جادة)

فردريك : معذرة •

جانيت : لاتبال بذلك ، المهم ألا تحاول ايلامى مرة أخرى •

(صمت من جديد • تتنهد لشدة شعورها بالراحة)

كم يطيب لى أن تلمسنى يدك ! اعرف انى الآن كالجواد الملجم العاجز عن الحركة بتلك الرقة التى تنبعث فجأة من حولنا • أيكون المطر قد كف عن الهطول ؟

فردريك : لا أدرى •

جانيت : (بعد لحظة صمت)

لكأن شيئا ما قد تمزق داخل أحشائى يبدو اننى لن أتمكن أبدا من ايلامك أو ايذائك أتعتقد ان ذلك الشعور الذى اعترانى هو ما يسمونه بالحنان •

فردريك : لا أدرى •

جانيت : وأنا بدورى لم أكن أعرف تلك الأحاسيس • كنت قد قرأت عنها فى الكتب كنت أتصور أن ذلك الشعور لا يغمرنا الا بعد وقت طويل جدا •

فردريك : كنت أتصور ذلك بدورى •

جانيت : لا بد أن كل هذا وهم ، أليس كذلك ؟ لقد تم كل ذلك بسرعة فائقة • قد يكون من حقى أن أرغب فيك وأن أستمتع بالسعادة بين ذراعيك ولكن ليس من حقى أن أحبك بتلك الطريقة كيف يتسنى لى أن أحبك ؟ انى لا أكاد أعرفك •

فردريك : وأنا بدورى لا أكاد أعرفك ، ومع ذلك ها أنت الليلة على وشك أن تصبحى زوجتى ، سوف تصبحين زوجة لى ورفيقا فى نفس الوقت فى الحياة والممات أيضا ـ ولست مع ذلك بالنسبة لى الا تلك الغريبة التى لا أقرأ شيئا على جبينها • ان الأمر فى غاية البساطة •

جانيت : بالنسبة الى يدى التى تمسك يدك وبالنسبة لرأسى التى تستريح فى تجويف كتفك يبدو الأمر بسيطا • أما قلوبنا ••

فردريك : ما علينا ألا نتخيل عكس ما اشتهينا • كنت أتمنى لنفسى فتاة جادة ترتدى أثوابا سوداء كما تفعل فتيات بلدتى ، لها بشرة ملساء وعينان صافيتان من تحت شعرها المشدود كنت أتمنى رفيقا صغيرا يلازمنى كرفيق الجندية يحمل حقيبته الصغيرة دون أن يشكو من شىء • حسن ، لم يحدث كل هذا• لقد صادفت عينيك اللتين لا أجرؤ على الغطس فهما ، وخصلة شعرك الثائرة وسمات الأوباش المرتسمة على محياك وكذبك • ها أنا قد أحببت كل ما كنت أمقته •

جانيت : واذا ما كففت عن الكذب وصففت شعرى ؟

فردريك : (يكمل حديثه)

كنت أحدث نفسي قائلا : سوف أرزق بطفلين وسوف أسمى ابني البكر «آلان» وسيكون شيطانا صغيرا ، والأخرى «ماري» وستكون في رقة الطير الصغير · سوف أساعدهما على القراءة عند عودتي في المساء الى البيت · ولكن لا بأس ، لن تكون هناك أمسيات هادئة ، الأمر بسيط كما ترين ، ولن تكون هناك قراءة تحت ضوء المصباح ولن أجد أمامي نظرات مترقبة ·· سوف نعيش في غرف الفنادق وسنجابه أكاذيبنا وشجارنا وعذابنا ·

جانيت : ولم تقول كل ذلك بتلك اللهجة العذبة ؟

فردريك : لأن كل ذلك مشبع بالعذوبة · ليس بعذوبة ما كنت أتمناه ، ولكن له عذوبة من نوع آخر · أن الشعور بالعذوبة هو شعور من يصل الى نهاية ما ، حتى ولو كانت تلك النهاية هي قمة اليأس ، فهو يقول لنفسه عندئذ : آه أهذه خاتمة المطاف ؟ لقد وصلت الآن ·

جانيت : وهل تعتقد أننا وصلنا ؟

فردريك : نعم، لقد وصلنا في تلك المرة· لقد طال بنا المسير وكانت الطريق جد عجيبة · ولكن ها أنا أشعر بالحرارة التي تنبعث منك وأنت بجواري وأستمتع بتلك الدقائق التي ننتظر فيها لحظة استسلامنا وهي دقائق لها مذاق كمذاق الخطوبة · ها نحن قد وصلنا ·

جانيت : (تسأل)

هل أنا التي كنت تريدها ؟

فردريك : (يبتسم)

لا أملك الا تصديق تلك الحقيقة

جانيت : (تسأل من جديد)

وهل فات الأوان الآن ؟ ألا تبالى بما كنت تريده لنفسك من قبل ؟ أتتحمل مسئولية قرارك هذا ؟ أترتضى الشعور بالخجل عندما أشعر أنابه ؟ أتقتسم بدورك مهما حدث نصيبى من الألم ؟

فردريك : مهما حدث ٠

جانيت : (تقول فجأة بعد لحظة صمت)

أفهم الآن لم يأخذن الأمر على محمل الجد ؟

فردريك : من تعنين ؟

جانيت : الخطيبات الحقيقيات ٠

(تنهض)

ولكن مالا أفهمه ، هو كيف أنهن بعد ذلك ، يلجأن الى الكذب ٠ ان السبب فى ذلك هو أنهن يتهامسن بقصص وهن منهمكات بأعمال المطبخ ٠ أما أنا فلو أنى أقسمت مرة كما يفعلن بالكنيسة وأنا بردائى الأبيض ممسكة بباقة أزهارى فى يدى لو أنى قلت لفتاى : انى من هذه اللحظة زوجتك وسأشاطرك الخير والشر ، وحياتنا واحدة ، فانى أفعل ذلك كما يقسم الجندى أمام قائده ولما حنثت بقسمى ولو بتروا ذراعى ٠

(تلتفت وتصيح)

لماذا أنت دائم التفكير فى جوليا ؟ ولم لا تكف عن الكلام عن « جوليا » ؟

فردريك : عن « جوليا » ؟ وماذا قلت عنها ؟

جانيت : ألا تسمع نفسك ؟ في كل مرة تصمت فيها ، لكأنك تصرخ وتقول « جوليا » ٠٠ وفى كل مرة تثبت فيها نظرك على فان عينيك لا تريان غيرها ، وأنا أضطر حينئذ بالرغم منى الى أن أغض بصرى ٠ أنت تعرف تماما أنى لن أشبهها أبدا ، أنت تعرف حق المعرفة أنى نقضها ٠ أنظر الى جيـدا وأعرف أنى أنا التى هنا وليست امرأة أخرى ، بكل ما فى قلبى من خير وشر وهما مرتبطان ارتباطا لا تفصم عراه ٠ يجب أن تقبلنى اذن بعلاتى دون أن تحاول فصم ذلك الرباط ٠

فردريك : صه

جانيت : ماذا تفعل هنا بعيدا عنها ، بعيدا عن أمك وعن مكتبك لتسجيل العقود وعن شوارع قريتك ، بعيدا عن كل ما فى هذا العالم من طيبات وطمأنينة ؟ ماذا تفعل هنا فى حضرة تلك الفتاة المشعثة الشعر التى تصيح وتكذب وتشعرك بالخجل والتى تؤذى شعورك ؟ ان كنت ترغب فى تلك الفتاة فهيـا أسرع ، فهى لك فى تلك الليلة ٠ سوف تستسلم لك وفى الصباح بعد أن تزول عنك رغبتك ، أسرع واذهب الى «جوليا» فهى التى تملأ قلبك ٠

فردريك : (وقد أمسك برسغها)

لقد تألمنا بما فيه الكفاية ٠ وأنا أطلب منك الآن أن تسكتى ٠

جانيت : (تتصارع وتفلت من قبضته)

ها أنت تؤلمنى ، وتلوى رسغى كما فعلت منذ قليل لتدافع عنها ٠ انها تملأ قلبك أيها الشاب ، لقد ملأته من قبل وسوف

تملؤه دائما .. ولو أنهـــا هناك فى القرية لجرؤت على أن تتصارع ـ لو أنها جازفت قليلا بتلطيخ ميدعتها النظيفـــة وكتبها المغلفة الناصعة ـ فانها كانت ستنضم ولا شـــك الى معسكر « القلوب الشجاعة » لتقف معكم ضد معســـكر « الأوباش » .

فردريك : يا لك من مجنونة !

جانيت : وكنت ولا شك ستهب للدفاع عنها ، عندما أقذفهـــا بحجارتى ، حتى لا أصيبها بأذى وحتى لا يسيل دمها العزيز الغالى ، أليس كذلك ؟ كنت ستهب للدفاع عنها ، كما فعلت هذا المساء عندما هممت بالاعتداء عليها ، أليس كذلك ؟

فردريك : (فى لهجة قاسية صارمة وهو يقف فى مواجهتهـــا تماما)

نعم . بكل تأكيد

جانيت : (تصرخ كالطفل)

حسن، لو أنك فعلت لأطلقت رفاقى من الأوباش وراءكما ليقضوا عليكما ولطلبت منهم أن يوثقوكما بشـجرة وكنت ســـأنزع جلد رأسها بمطواتى ، كنت سأنزع جلد رأسها بما عليهـــا من خصلات ممشطة جميلة ، حبيبتك الجميلة « جوليا » هذه أمام عينيك . آه ! لم لم نعد أطفالا كما كنا ؟ ولم لم نعـد فى تلك السن التى كان يمكن أن نتصارع فيها ؟

(تلقى بنفسها فجأة بين ذراعيه وتصرخ فى ألم)

آه ! آه لو أنك أخرجت سكينك الآن من جيبك وشـــطرت قلبى ؟ لو أنك فعلت لرأيت كم هو نظيف ولرأيت كيف أن لونه الأحمر صاف لا تشوبه شائبة .

فردريك : (يقول فى تمتمة وهو يضمها الى صدره وقـد شعر بأنها هزمته)

كم ضرباته سريعة !٠٠

جانيت : أو تسمع دقاته ؟ أواه ! اذا كذبت عليـك واذا تضاربت أقوالى واذا عجزت عن حل عقدة كل تلك الخيـوط التى تشل حركتى ، كالذبابة الصغيرة المشلولة فى الصمغ واذا عجزت عن الاهتداء الى الكلمات المناسبة واذا آلمتك وقسوت عليك ، فكر اذن فى قلبى هذا ، قلبى السجين العاجز ٠ ان من تكلمك هى أنا ،وأنا لست الا الرياء والقسوة والشر،أو لست الا الكبرياء اذا أردت ، لست الا امرأة بكل ما تحمله وراءها من ماض وبكل ما يمكن أن تفعله فى المستقبل ، أما قلبى ، فليس الا حيوانا أليفا مخلصا لا يعرف الا القفز لكى يعبر عما فى دخيلته وهو يقفز نحوك أنت ٠ أتشعر ؟ أتشعر بنبضـاته بداخلى اذا ما ابتعدت عنك ، واذا ما سخرت واذا ما بدا أنى أريد ايلامك ، اصغ الى قلبى ، الى قلبى فقط ولا تصغ الى ما أقوله أنا ؟

(تلتصق به بشدة)

والآن ضمنى اليك بقوة لأن قواى سوف تخوننى ، لأن قواى لم تعد تسعفنى ٠٠

(تتجه الى النافذة وتفتح السـتائر ثم تفتح الباب على مصراعيه فتبدو ظلمة الليل بالخارج ٠ يدخل الهـواء بعنف ويملأ الغرفة فيهتز له لهب المصباح)

فردريك : ماذا تفعلين ؟

جانيت : انى أفتح النافذة والباب لكى يبدو الضـوء من بعيد ويراه كل من بالغابة ٠

فردريك : ولماذا تفعلين هذا ؟

جانيت : حتى لا يقال انى قد منحتك أقل مما تمنحه الخطيبات الحقيقيات • وما دمنا قد عزمنا على أن نشــترك فى السراء والضراء ، فالأفضل لنا اذن أن نبدأ الآن • أليس كذلك ؟ •

ليكن الأمر كما يحدث فى سباق السباحة فى عيد الرابع عشر من يولية • يحدث دائما أن يتخلف أحدهم عن السباق • ومن لم يكن أهلا لذلك الصراع ، فالأفضل له أن ينسحب

(تقف ملتصقة بالباب المفتوح ، والهواء يلفــح وجهها الذى يفصح عما فى نفسها من ثورة) •

فردريك : اغلقى هذا الباب • سوف تطفىء الريح المصباح •

جانيت : اذا حدث أطفأناه من جديد • سوف نعـــاود اضاءته مرات ومرات حتى يرى ضوءه رجــل لا بد أنه يهيم فى تلك اللحظة بالغابة كالبومة العــجوز الحزينة ، حتى يراه وهو واقف بين أفرع الشجر فيأتى لينقر بأصابعه على النافذة •

(يخطو «فردريك» خطوة ثم يقف • تستمر فى حديثها)
لقد عرف أنه فقدنى الى الأبد وأنا واثقة انه يبحث عنى الآن • ولكنه كالدابة فهو قبيح وهو يخجل من نفسه وربما لا يجرؤ على الدخول ، وسوف أشكره على ذلك • ولكنى سأكون عندئذ قد بذلت قصارى جهدى لكى أدعوه الى المجىء • ان ذلك الأمر سيكون كالحكم الذى يصدر فى يوم الحساب الذى جاء ذكره فى الكتاب الذى كنا نقرأه بالمدرسة : ســـوف يلتقى المذنب والبرىء وسوف يمسكان معا بالحديد الملتهب وبعد ذلك لن يبقى منهما الا أكثرهما شجاعة أو أكثرهمـــا حظا •• سيكون مصير تلك القضية اذن كمصير أية قضية أخرى •

فردريك : لماذا تصرين على أن أرى هذا الرجل ؟

جانيت : سيتم الأمر كما يحدث فى العمليات الجراحية يا «فردريك» فاذا قدر لى ألا أنزف كثيرا واذا قدر لى ألا يشوه وجهى كثيرا، ربما تبقت لى فرصة أخيرة للحياة •

(تضيف بلهجة جادة)

ولكن بشرط أن تحبنى بعد تلك العملية كما تحب «جوليا»

(يتجه «فردريك» الى الباب فجأة ويغلقه ويلتفت اليها)

فردريك : اذا دخل ذلك الرجل ، واذا رأيت وجهه ، ربما عجزت بعد ذلك عن أن أحبك •

جانيت : اعرف ذلك • وبالنسبة للحديد الملتهب أيضا لم يكن هناك أى دليل على أن المرء لن يموت بفعل حروقه ولكن لا بد كذلك من أن يمسك به المرء بكلتى يديه •

فردريك : ألم يكفك ما أقدمنا عليه منذ برهة ؟ ألم يكفك ما سببناه لها من ألم ؟

جانيت : لا ، يجب أن يحصل كل منا على نصيبه من ذلك الألم •

فردريك : انى أحبك وها نحن بمفردنا أخيرا بعد ذلك اليوم الطويل الشاق • اوه ! أرجوك ألا نطيل انتظارنا أكثر مما فعلنا • ان الليل ينهب الوقت من حولنا • لقـــد ارتضيت كل شىء ، الجريمة والجروح ، كما قبلتك أنت بالرغم من أن كل مافيك غريب على ، فى نظير أن نصل الآن الى ماكنا نترقبه •

(يغلق الستار)

آه ! أتوسل اليك ألا تطلبى منى المزيد من التضحية ، وألا تتفننى فى البحث عن ألوان أخرى من الألم • ها أنت ترين

أني لم أعد أطلب منك شيئا • ان الرجال يتصارعون ويموتون، هم بدورهم ، من أجل تحقيق أحلامهم وأوهامهم ، ولكن هناك لحظة تصادفهم يشعرون فيها بالارهاق والسأم ، لحظة يشعرون فيها بالرغبة فى أن يكفوا عن هذا الصراع ، وفى أن يضعوا أيديهم على جسد زوجاتهم وأن يشعروا ببعض الهناءة •

(يخطو خطوة نحوها ولكنها تتقهقر)

جانيت : لا يا «فردريك» كنت أعرف أن سعادتنا لن تتحقق بسرعة ونحن فى تلك الغابة وذلك لشدة ما أشعر به من رغبة فيك ، ولكن الآن ، اذا ما لمستنى ، أعتقد أننى سأطلق صرخة مدوية •

فردريك : لم أعد أتعرف عليك يا « جانيت » • ها أنت فجأة قد أصبحت امرأة لا أعرفها امرأة متقلصة العضلات شديدة الشحوب ، تتأهب للدفاع عن نفسها •

جانيت : انى أختهن •

فردريك : أخت من ؟

جانيت : أخت نسائكم ، تلك النسوة اللاتى يجرونكم وراءهن ، وراء ذيل أثوابهن السوداء ، عبر العصور وعبر الموت ، تلك اللائى يقمن بحراسة قلوبكم : أعنى خالاتكم وعماتكم وجداتكم وبنات أعمامكم و « جوليا » كذلك • لم يعدن يخفننى • لقد أصبحت مثلهن • ليس الأمر عسيرا • يكفى أن يحب المرء ليصبح مثلهن •

(يفتح الباب فجأة ويظهر لوسيان على عتبته والمطر يتساقط من ملابسه)

لوسيان : أطلب عفوكما • انى أزعجكما • لقد تجولنا كثيرا تحت

المطر هذا المساء ، تجولنا جميعا فى ذلك الطقس الملعون الذى لا يصلح لمطارحة الهوى البرىء العذرى •

(يغلق الباب وراءه)

« آزا رياس » هو الذى أرسلنى • انه لا يجرؤ على الدخول فهو رجل خجول ،ولكنه ليس بالولد الشرير،واعتقد أنه يحبك، لقد طلب منى أن أخبرك بأن فى امكانك الاحتفاظ بالثوب •

(لم تتحرك «جانيت» يستدير «فردريك» نحـــوها فى صمت • يفتح «لوسيان» علبة من الورق المقوى كان يمسك بها عند دخوله ويضيف)

لوسيان : انه يرسل لك كذلك الغلالة التى نسيتها •

(يضع « لوسيان » الغلالة الكبيرة المصنوعة من التل الأبيض على مقعـــد • وتقـول « جانيت » فى رفق فى ذلك السكون الشامل)

جانيت : نعم • كان ثوب عرس

فردريك : أهو الذى أعطاه لك ؟

جانيت : نعم ، بالأمس •

فردريك : (بعد صمت قصير)

ولم حملت ذلك الثوب ؟

جانيت : (فى لهجة كلهجة الأطفال)
لم أكن أملك شيئا جميلا الا هذا الثوب •

(يقف كل منهما فى مواجهة الآخر ، كلاهما صامت متسمر فى مكانه)

لوسيان : (يبتسم ويقول)

أتعجز عن فهم معنى كل هذا أيها الشاب ؟ كن عادلا . لقد رحلت معك الى حيث الحب الدائم . اعترف اذن أن تلك اللحظة كانت أنسب اللحظـات لتتزين قليلا من أجلك . ان السؤال عن اسم من اشترى ذلك الثوب ، انما هو سؤال سخيف ، كتلك الأسئلة التى دأب الرجال على توجيهها .. وعلى أية حال ، يحلو لى أن أنبهك الى أنها بدافع من شعور رقيق ، قد تركت له الغلالة ، تلك الغلالة التى رأيناها ، بدافع من شعور رقيق بدورنا ، أن من الأصوب أن نحضرها لها .

جانيت : (فى صمت رقيق)

انى أكرهك يا « لوسيان »

لوسيان : أنت على حق فى ذلك فأنا أقوم فى تلك المأساة بأقبح الأدوار وأنا أعترف بأن دورى هذا لا يشرفنى كثيرا .

(ينظر اليهما وهما فى هذا الارتباك ويقول ساخرا)

يا للحملين الوديعين ! كم أشفق عليكما ! انكما تسعيان الى معرفة الحقيقة ولا تقبلان بها بديلا . الحقيقة الكاملة ، غير منقوصة ، وهما أنتما عندما تلتقيان بها وجها لوجه تصمتان وتشعران بالرغبة فى البكاء ، يجب أن يكون المرء قد صهرته الأيام مرة ومرات حتى يتمكن من مجابهة تلك الســـيدة المحترمة : الحقيقة العارية .

فردريك : (يسأل فجأة)

ولم كذبت على ؟

جانيت : لقد رأيت الثوب وفهمت أنه جديد ، وقد أدركت حينئذ أننى سأعجز عن الاعتراف لك بالحقيقة .

فردريك : (صارخا)

الاعتراف بأية حقيقة ؟ انه أهداك اياه بالأمس ؟

جانيت : نعم

فردريك : ولكن ها أنت قد حملته مع ذلك .

جانيت : نعم

فردريك : لم أكن أعرض عليك الا الهروب والشقاء أنت تعرفين تلك الحقيقة تماما .. وقد تبعتني دون تردد ، وفى الحال . لقد حطمت كل شيء وتركت كل شيء وراءك كما فعلت أنا .. ولم يكن ارتكاب تلك الجريمة ممكنا الا لأننا اعتزمنا أن نترك كل شيء وراءنا .. كلانا . آه كم يطيب لى أن أنتزع ذلك الثوب منك وأن أمزقه وأن ألطخه بالأوحال .

(يخطو خطوة نحوها ولكنها تتقهقر وتطلق صرخه وهى تضم ثوبها الى صدرها)

جانيت : لا .

(تسمر تلك الصرخة « فردريك » فى مكانه)

لوسيان : (فى لهجة رقيقة)

ان افساد الأشياء الجميلة عمل جد قبيح . ثم لا تنس أن تلك الصغيرة انما تحب ثوبها وهى لا تحبه بقدر ما تحبك ، فاذا طلبت منها أن تختار بينك وبينه ، سوف تنزعه من على جسدها . ولكن كم بكت من أجل هذا الثوب . لقد بكت شهورا وشهورا وهى تعجب به وهو بكتالوج الأزياء . كم حلمت بذلك الثوب وهى ترتدى أثوابها القديمة الممزقة !

ثم لا تنس أنها ربما كانت ستتزوج «آزارياس» بسبب هذا الثوب ، ليس الا •

فردريك : (وهو يصرخ)
ليس هذا صحيحا •

لوسيان : بلى يا صديقي وكيف كنت تتصور النساء اذن ؟ كنت تتصورهن قد صنعن من البلاتين والماس ؟ ماذا يتصور اذن مسجلو العقود أمثالك ؟ أن النساء أنما صنعن من التنهدات ومن الأبخرة ومن النزوات ، وفي هذا نواحيه الطيبة كما فيه نواحيه السيئة وكل هذا انما يختلط بعضه بالبعض الآخر ثم ينفجر بين يدى الكيميائي أو يصهر بعضه ببعض ، تبعا للأحوال • وتنجم عن ذلك أشكال لها صفة الأبدية ، ربما شعرنا بالرغبة في أن نموت فى الحال فى سـبيل الحصول عليهـا ، بسـبب جمالها الفائق ، ثم فجأة ذات صباح ، نفجع فيها فنراها شديدة القبح ، فى قبح الوحش ولا يبقى من ذلك الجمال شيء • ان « آزارياس » رجل ثرى وهو يحبها ، وها هى تهجره من أجلك أنت فى تلك الليلة غير آسفة • ولا تتصور أنها كانت تتردد عليه من أجل ماله ، فان أختى ليسـت بالمومس كانت تتردد عليه لأنها كانت تتلهى بذلك العمل ، وهى ان كانت تصطحبك أنت الآن فالسبب هو أنها انما تجد متعة أكبر فى الرحيل معك وتتلهى به ولكنها على أية حال سوف تحمل ثوبها معها ، هذا كل ما هنالك ، ولاشيء آخر •

فردريك : صه •

لوسيان : سينتهى بك الأمر الى أن تقول لنفسك نفس هذا الكلام فى يـوم من الأيـام • أما أنا فيطيب لى أن أخبرك بتلك الحقيقة فاتركني وشأنى اذن •

فردريك : (يصرخ فجأة ويقول)

كنت تكذبين ، ومازلت تكذبين • لقد كذبت فى كل ما قلت، طوال الوقت • كيف يتسنى لى أن أصدقك بعد الآن ؟

لوسيان : سوف تصدقها باكر يا صديقى ، بل بعد قليل ، بل فى الحال • ما عليك الا أن ترحل معها وأن تثق فيها وسوف تصدق كل أقوالها ، منذ باكر ، هذا هو خير الحلول وهو حل لا يقل صوابا عن اختيار طريق العذاب •

فردريك : لن يكون ذلك فى امكانى

لوسيان : وأنا بدورى لم أتمكن من هذا • أنه الحل الذى يرتضيه أكثرنا قوة أو أكثرنا غفلة •

فردريك : بودى أن أفهم معنى كل هذا •

لوسيان : تفهم ماذا ؟ أتريد أن تفهم ما يدور داخل تلك الرءوس الصغيرة الهشة ؟ لم يتمكن أحد من فهم ما بداخلها أبدا ، ولا هن أنفسهن • ثم ماذا يفيدك كل هذا ؟ لابد أن مابداخلها لا تطيب له النفس كثيرا • ما باليد حيلة ، لابد من أن نقبل الأمر الواقع وأن نعتاده • هناك أيضا أشياء لن نفهم سببها أبدا • الأمراض وسخف الحياة والفاقة والحروب والموت • لسنا الا أولادا صغارا •

(ينهار « فردريك » ويجلس وهو يمسك رأسه بين راحتيه • يجلس « لوسيان » بجانبه)

لوسيان : آه ! يالهيئتنا نحن الرجال ونحن نستعرض أحوال حياتنا • يالهيئتنا ونحن نحاول أن نثبت أننا علماء ومحاربون وشعراء وأن شعارنا انما هو أن نحيا أحرارا أو نموت ، وأن

لنا أفكارا ومبادىء عامة • كل هذا انما هو السخف بعينه •

(يسود الصمت بينهما ، ثم يردف « لوسيان »)

يجب ن نتشبث بذيل أمنا أو بامرأة ك « جوليا » ان وجدنا نساء على شاكلتهما أو أن نكتفى بهاتيك اللائى يجىء ذكرهن فى الكتب ••

ان استراحة الغابة تلك قد أفادت أسرتنا كثيرا وساعدتنا جميعا على تذوق ألوان الألم • كثيرآ ما كنت أحضر الى هذه الاستراحة ، بعد أن هجرتنى زوجتى لأختبىء فيها عن أعين الناس • وذات يوم ، من كثرة ما نظرت الى الحائط – ولم أكن أرى شيئا عليه – اكتشفت تلك اللوحة آلتى تتدلى فى وضع معكوس داخل هذا الاطار (يشير الى لوحة كبيرة لونها أصفر فى اطار أسود كبير يتدلى فى وضع معكوس على الحائط تحت النافذة التى تحطم زجاجها ويقول)

ان زجاجها قذر ولا يسهل على المرء أن يفسرمعالمها • انها زوجة بايتوس، وهو احد المحكوم عليهم بالاعدام فى عهد «كلاوديوس» • لقد انتزعت الخنجر من يد رئيس الحواس ، ولما كان بايتوس مترددا فقد أغمدته فى صدرها ثم قدمته لزوجها وهى تبتسم له ابتسامة حلوة قائلة عبارتها اللاتينية المشهورة •

(يلقى « فردريك » نظرة خاطفة على اللوحة ثم يطأطىء رأسه ويسندها على راحتيه • يسود الصمت • تلتفت « جانيت » بدورها الى اللوحة وتنظر اليها ثم تسأل)

جانيت : وما معنى تلك العبارة ؟

لوسيان : ان معناها « لا تخف انه لا يؤلم » • ان تلك اللوحة قد استوحاها الفنان من ذوق عصره ، عصر الامبراطورية الثانية• ليست زوجة « بايتوس » بالمرأة الجميلة ، بل ربما كانت على شيء من القسوة ، بالنسبة الى من كانوا فى مثل رقتنا • ولكن على أية حال ••

(يزفر ويقول في لهجة نصف حالمة ونصف ساخرة)

يال « بايتوس » المسكين !

(يسود الصمت)

جانيت : (تقول فجأة فى لهجة رقيقة)

أريد يا « فردريك » أن أقول لك شيئا على أية حال • ان كنت قد فتحت الباب فلكى يدخل ذلك الرجل ولكى يسمعك نفس تلك الكلمات التى قالها « لوسيان » تقريبا • انى كاذبة هذا صحيح ، وأنا لاأساوى شيئا ، هذا صحيح أيضا • وقد حملت ذلك الثوب ••

(تمر فترة ثم تردف وتقول وهى تبذل مجهودا)

لقد قال لك : مثل «جوليا» وأمك ، والآن هاهن أولاء نساء روما بدورهن يقفن ضدى • كل هؤلاء كن قويات ونقيات النفس •• حسن كان بامكانى أيضا أن أفعل مثلهن بل وأكثر مما فعلن • وعلى أية حال ماذا أعطتك « جوليا » هذه؟ أهى حكمتها المحدودة الأفق وخوفها من أن تأتى ما يمكن أن تحاسب عليه ؟ وأمك ماذا منحتك ؟ أهى قد احتضنتك ودللتك فى تلك الليالى التى كان النوم لا يداعب فيها جفنيك ؟ أتتصور انه لم يكن فى امكانى أن فعل كل ذلك بدورى ؟ أكنت تتصور أن ليس فى مقدورى أن أسهر بجانب

فراشـك وأن أحملك بين ذراعى لو أنك مرضت ؟ أن فى استطاعتى أن أحملك خيرا من عشر أمهات وان أحملك ألف ليلة متوالية • لو أنه حدث كل هـذا لكنت كالدجاجة التى تأبى أن تلتقط حبة واحدة لنفسها ، بل لكنت كالذئبـة الأم التى تدافع عن ابنها ببسالة وتصارع من أجله حتى تلقى حتفها • أما أمك فقد كان لها عشرة أبناء غيرك وقد فعلت ما فعلته معك عشرات المرات مع الآخرين وبنفس الطريقة ، لأن ذلك الاحسـاس كان يحرك أحشـاءها كما يحدث فى بطون الحيوانات جميعا ، عندما ترى ذلك الجزء الذى خرج من أحشائها وهو يتحرك أمامها •

لوسيان : هذا صحيح فان أسوأهن يصبحن أمهات • ربما حركتك تلك الأحاسيس بدورك فى يوم من الأيام كما يحدث لغيرك ، وربما اضـطررنا حينذاك الى النـظر اليك بعين التبجيل والاحترام

جانيت : (تلتفت وتقول فى ثورة عارمة)

لا لاأحب أن يحدث لى ما يحدث للنساء جميعا وأن أشـعر بأحاسيسهن كما يفعلن مع أى من أطفالهن • بل لا أريد أن أسمو فأصبح اما اثنتى عشرة مرة ، وأن أعرض نفسى اثنتى عشرة مرة للموت وأن أنعت بالبسالة • ليس ما أشـعر به احساس غريزى مبهم يملأ جوانبى حتى ليدفعنى الى انجاب طفل يرضع من ثديى • انى أحبه هو نفسـه • وان أردت التضحية وارتضيت الموت فسـيكون ذلك من أجله هو • ولن أستشعر ذلك الحب كما يعود الرحيق الى الأشجار كلما تحرك طفل داخل أحشائى • ان ذلك الاحساس سيكون هو الأول والأخير ، وأنا واثقة مما أقول ، الأول والأخير ، سيكون

الحب الذى يمتص جلد بطنى فتلتصق بعظامى ، سيكون احساسا يدفعنى الى أن أضحى بدمائى كلها وبلبنى ان هو تدفق فى صدرى •

لوسيان : (يقول بشراسة بعد أن ينهض واقفا)

دمها ولبنها ! كم تسبقين الحوادث ! انك لم تعرفيه الا منذ يوم واحد •

جانيت : تلك هى العبارة التى ترددونها جميعا • أهو خطئى اننى لم أعرفه الا منذ يوم واحد ؟

لوسيان : أتقولين دمك ولبنك ؟ انهن يقلن كلمات رائعة تسحرنا اذا اكتفينا بالاصغاء اليهن ونحن نغمض أعيننا • ولكن يكفى أن ننظر اليهن وأن نرى أجفانهن وهى ترتعش وأفواههن وهى تتقلص عقب ثورة أعصابهن فيزول الأثر • لقد منحته فمك وطعم بشرتك ومازال طعمهما على لسانه • هذا كل ما هنالك • لست الا فتاة ارتضاها لليلة واحدة •

جانيت : لا • انى زوجته •

لوسيان : زوجته • أنت ؟ لا تضحكينى • انظرى اليه • انه صارم الملامح ، نقى الأسارير ، متين الخلق انه كالجندى الفرنسى الأصيل ، فالعواطف الطيبة تكاد تخنقه • أتكونين زوجته ، أنت ؟ لقد شعرت بالرغبة فيه وقد اشتهاك بدوره • أتمنى لكما حظا سعيدا •• اسرعا ولا تتلكآ ولكن أرجو الا تبنيان كاتدرائية على هذا السراب •

جانيت : ألا تفترض أن أكون قد أصبحت فى ليلة واحدة رمزا لكل ما يحبه ؟ الا تفترض أن أكون قد أصبحت فجأة نقيضا

لكل ما كنت ارمز اليه : الكسل والكذب والفوضى ، أن أكون قد أصبحت رمزا للشجاعة والشرف ؟

لوسيان : (ينفجر ضاحكا ويقول)

كلكن سواء ! كلكن سواء ! انكن كفيلات بقتل آبائكن وأمهاتكن ذات مساء أثنـــاء احتسائهم الحساء ، لمجرد أن تتبعن ذلك الشاب الذى ينتظركن ، بل أنكن لعلى استعداد لأن تسرقن من أجله وأن تمتهن أجسادكن وأن تبعنها فى الطرقات من أجله وأن تنزلن الى أسفل الســـافلين • أما اذا كان ممن يفضلون الحشمة ، ذلك الملاك العزيز الحبيب، أما اذا كان ممن يفضلون العواطف الرقيقة ويدافعون عن الفضيلة ، فالأمر متروك له ، له أن يأمر ، فطلبه سهل ميسور • ان فى امكانكن كذلك أن تفعلن هذا ، ولن يضيركن هذا الطلب فى شىء وسوف تلبين رغبته بكل اخلاص • سوف تتمنعن وتخفضن بصركن وسوف تحمر وجوهكن اذا ما تجرأ أحد وتفوه بكلمة أمامكن ، سوف تبدو نفوسكن ساميه فأنتن قادرات على كل شىء ، كل شىء فى مقدوركن طالما بقيت عواطفكن على ماهى عليه •

جانيت : نعم ، انى قادرة على كل شىء • نعم ، انى قادرة على كل شىء•

لوسيان : ولكن ، مالا تستطعن عمله هو أن تدوم عواطفكن هذه

جانيت : أنت تكذب •

لوسيان : ان ما يعجزن عن عمله هو أن تبقى عواطفهن على ماهى عليه حتى الغد ، انهن مخلصات ولكن اخلاصهن يستنفدنه يوما بعد

يوم . تلك هى طريقتهن هاتيك الصغيرات الجميلات اللطيفات.
ومصيبتنا نحن، هى أننا لا نحتاج فى الغد الا لاخلاصهن هذا.
ان حبهن الذى يعرضنه علينا اليـــوم لا يهمنا بقدر ما يهمنا
اخلاصهن فى الغد . ولهذا السبب ها نحن أولاء نهلك من أجل
حبهن ، ونحيا بجانبهن حياة كلها نفاق ، حتى ذلك اليوم الذى
يهجرننا فيه بعد أن يسأمن الحياة معنا ، وهن يتهمننا عندئذ
بأننا مصدر عذابهن .

جانيت : أما هو فسيكون سعيدا . سوف يصدقنى وسوف يثق بى.
لم تستطع أنت أن تثق فى « دنيز » ولكننى سوف أهبه كل
شىء طالما وثق بى .

لوسيان : وماذا تهبيه ؟ أنت لا تملكين شيئا لتهبيه . كلكن لاتملكن
شيئا ، كلكن لا تملكن سوى جسدكن تهبنه لدقيقة واحـدة
وبعض مشاعر لا تستقر على حال .

جانيت : ليس هذا صحيحا .

لوسيان : وهو بدوره لا يملك شيئا يمـكن أن يهبـــك اياه . انتما
عاشقان وقـــد أردتما أن تلعبــا لعبة الحب ويمكنكما الآن أن
ترقصا أشواطها جميعا حتى شوطها الأخير ، يمكنكما أن تلقيا
بنفسيكما فى الماء من شدة يأسكما أو أن يمـوت أحدكما من
أجل الآخر أو أن تصابا بالجذام أو أن تبيعا نفسيكما للشيطان
اذا أردتما . كل هذا هراء وسراب وخداع . انكما لا تملكان
شيئا يمكن أن تهباه .. لقـد اخترتما لعبة الحب ، اذن فقد

اخترتما لعبة الأخذ لا العطاء والبـــذل ، ولعبة الأنانية وحب الذات ·

جانيت : ليس هذا صحيحا ·

لوسيان : بلى · لقـــد اخترتما الحب ، اذن فأنتما هنا ، ليكره كل منكما الآخر ·· اذن أنتما هنا لينتقم كل منكما من الآخر ولن يعرف أحدكما أبدا سببا لانتقامه ، ولا داعى لأن تدقا قلبيكما وأن تلطما ، فذلك هو ناموس الطبيعة منذ الخليقة ، منذ خلق الرجال والنساء ، ومنذ تلك اللحظة التى يربطهما فيها الحب ذات يوم ، فيلتصق كل منهما بالآخر كالذباب ·

جانيت : لا

لوسيان : بلى · وربما رحلتما بعد قليل وجابهتما الحياة معا ، ويد كل منكما فى يد الآخر ، ولكن كلا منكما سوف يتجسس على أخيه ويرصد حركاته وسكناته كعدوين يهيمان فى الصحراء · وسوف يقول الناس عنكما : ياللعاشقين ! كم يحب كل منهما الآخر ! نعم ســوف تكونان كاثنين من القتلة ، نعم ، سوف تكونان كمجرمين يتأهبــان لارتكاب أبشــع الجرائم كل منكما يتأهب لينبش بأظافره فى جسد الآخر وأن ينهشه بأسنانه — لا بد أن يقضى أحدكما على الآخر وكلمـــا أسرعتما أحسنتما صنعا · هذا هو حبكما ·

جانيت : (تسقط على أريكة وتجلس بجانب «فردريك» وتقول) كم أنت قبيح ! انك مفرط فى القبح ·

لوسيان : (يقترب منهما ويضيف بصوت أكثر رقة)

ماذا كنت تتصورين اذن ؟ أكنت تتصورينه حبا كحب «فيليمون وباوكيس » Philemon and baucis أبديا لاتشوبه شائبة ؟ أكنت تتصورينه مجرد جنحة تافهة ؟ أكنت تتصورينه الحنان والتفانى والثقة تحصلين عليها هكذا دون عناء ، ذات يوم ؟ ان ثمن ذلك انما ندفعه يوما بعد يوم ياصغيرتى ، ندفع ثمنه بالعرق والدموع ، ندفعه مللا وخوفا ، وندفع ثمنه بارتكاب جرائم لا حصر لها · ان ذلك الثمن ندفعه بانجاب أطفال يصابون بالحمى لا ندرى ان كانت ستقضى على حياتهم، وليال وليال يقضيها كل منا بجوار الآخر يستمع فيها الى كل نفس من أنفاسه وهى ليال تتجعد فيها وجوهنا ·

جانيت : أيتجعد وجهى ! حسن ، سوف يتجعد وتتقدم بى السن ولكنهم سوف يقولون : هاهما ذان العجوزان السعيدان · وعندما يموت سوف أموت فى اليوم التالى ·

لوسيان : (يجلس بجانبهما لشعوره بالارهاق والسأم بدوره يقول فى تمتمة)

الموت ، الموت··· ان الموت ليس بالأمر الصعب · ابدئى بالحياة فالحياة أقسى من الموت وهى أطول عذابا ·

جانيت : انك تقول كل هذا لتمنعنا من الحياة

لوسيان : (وقد شعر فجأة بالارهاق)

بالعكس أيتها الحمقاء ، انما أقول ذلك لأحميكما من الموت · انك تسيئين فهم كل شيء ·

(يسود بينهم صمت قصير · ثلاثتهم جالسون على الأريكة فى هدوء ، كل منهم بجانب الآخر ، وكل منهم يحدق أمامه)

جانيت : (تستأنف الحديث وتقول فى لهجة رقيقة متواضعة)

انك تكره الحب • ولكن النساء اللاتى عرفتهن لسن النساء جميعا فأنت لم تصادفهن جميعا • هل صادفت منهن من أحبت بكل قواها والى الأبد ؟ هل صادفت واحدة منهن ؟•• لو كانت هناك واحدة ، لأمكننى بدورى أن أكون مثلها •

لوسيان : لم أعرف أبدا أين توجد امرأة كهذه •

جانيت : ان تلك التى كنت تتكلم عنها ، تلك المرأة التى على تلك اللوحة قد أحبت ولا شك •

لوسيان : زوجة « بايتوس » ؟

جانيت : لا أعرف اسمها • نعم • ماذا قالت تلك المرأة وهى تطعن نفسها بالخنجر قبل زوجها لكى تثبت لزوجها اخلاصها ••

لوسيان : « انه لا يؤلم » •

جانيت : (تكرر تلك العبارة)

« انه لا يؤلم » ألم يكن معنى تلك العبارة أنها كانت تحبه ؟•

لوسيان : بلى •• دون شك ••

جانيت : (تنهض)

اذن فالأمر ليس بالصعوبة التى تدعيها •

لوسيان : الى أين تذهبين ؟ ••

جانيت : سوف أنزع عنى ذلك الثوب ••

(تختفى على السلم)

لوسيان : (عندما يبقى الرجلان وحدهما)

لقد ذكرت لكما كل ما أعـــرف عن الحب وقد سردت عليكما
كل تجاربى الصغيرة فى هذا المضمار أما الآن يا صـــديقى ،
فربما أحسنت صنعا لو أنك حاولت أن تجرب بنفسك ٠
(يسمع صوت زجاج يتحطم فى الدور العلوى)

لوسيان : (يرفع رأســـه)
ماذا تفعل الآن تلك المجنونة ؟ أهى تحطم زجاج النافذة ؟
(تمر لحظة ثم تظهر « جانيت » وهى شـــديدة الشحوب فى
ثوبها الأبيض ، وهى تمد لفردريك ذراعهـــا الجريح الذى
ينبثق الدم من جرح عميق به)

جانيت : ان الأمر بسيط ، بل ان ذلك لا يسبب ألمـاً ٠ لم أعد أذكر
تلك العبارة اللاتينية التى ذكرتها ٠٠
(لقد نهض الرجلان تمر لحظة يخيم فيها الرعب عليهما ٠٠
ثم يندفع فردريك ويلقى بنفسه عليها ويربط ذراعها بمنديله
ثم يحتضنها ويتمتم قائلا)

فردريك : جانيت ياحبيبتى ٠ سامحينى ٠ ســـوف أثق بك ٠٠
أثق بك الى الأبد ٠
(الاثنان متعانقان ٠٠ يرفع « لوسيان » ذراعيه نحو السماء
ويهتف قائلا)

لوسيان : حسن ٠ ان كان يحلو لهن الآن أن يجرحن أذرعهن ٠٠
فانى لا أجد اجابة على مثل تلك الفعلة ٠
(يفتح الباب فى تلك اللحظة ويتدفق الهواء داخـــل الحجرة
ويكاد النور أن يطفأ ٠٠ يظهر ساعى البريد على عتبة البـاب
تحت الأمطار ويقول فى تردد)

ساعي البريد : (فى لهجة رقيقة)

يا أولاد ٠٠ يا أولاد ٠٠!

لوسيان (يسرع نحوه وهو يصيح قائلا)

أهي رسالة لى أيها الساعى ؟

الساعي : لا ياولد ٠٠ ان أباك هو الذى أرسلنى اليك لاطلب منك أن تذهب الى القرية فى الحال لتستدعى الطبيب « كورنبو » ٠ انهم منزعجون فى بيتكم ٠ ويبدو أن أختك قد تجرعت شيئا وهم يعتقدون أنها قد أصيبت بتسمم ٠

(ينفصل فردريك عن « جانيت » ٠ يلتفت « لوسيان » نحوه ويقول).

لوسيان : عد الى البيت أما أنا فسوف أستقل سيارة « آزارياس » وأعود بالطبيب

(لم يتحرك فردريك ٠ فيتجه اليه « لوسيان » ويدفعه من ذراعه ويقول)

اذهب بسرعة ، فان هذه المرة الأمر يتعلق بسم حقيقى ٠٠

(يخرج لوسيان وهو يسحب فردريك ، يتبعهما ساعى البريد تاركا وراءه الباب مفتوحا على مصراعيه ٠ يسود صمت طويل ثقيل ٠٠ تبقى جانيت بمفردها دون أن تأتى بحركة واحدة فى ذلك الهواء الذى يتدفق فى الحجرة ٠ تبدو ضئيلة الحجم فى ثوبها الأبيض وهى تضم ذراعيها حولها ٠ تدير رأسها فجأة وتنظر خارج الحجرة وتتمتم قائلة)

جانيت : يمكنك أن تدخل الآن ٠

(يظهر شبح رجل ، على عتبة الباب ، يرتدى معطفـــا يسيل منه المطر ٠ وفى اللحظة التى يتقدم فيها الشبح دآخل الحجرة تنزل الســـتار)

ســـتار

الفصــــل الرابع

(نفس منظر الفصل الأول · يلفظ النهار انفاسه الأخيرة · تدور تلك الأحداث بعد مرور اسبوع · « فردريك » راقد على الأريكة ويلف ذراعيه حول راســـه · نرى الأب يروح ويغدو فى الحجرة وهو لا يكف عن النظر اليه بعد أن يدخل « لوسيان » فيتجه اليه الأب ويقول)

الأب : هل حضرت العربة ؟

لوسيان : نعــم ·

الأب : حســــنا ·

(يأخذه بعيدا ويردف)

لا أخفى عنك انى لا آسف على رحيلهم · لقد مضت عليهم هنا ثمانية أيام · ها هو ولد استضيفه فى بيتى منذ ثمانية أيام ولا يفتح فمه بكلمة واحدة · انى من أنصار المدرسة القديمة ولذا أومن بأن أصول اللياقة يجب أن تراعى ، مهما حدث· لو أن خطيبتى كانت تحتضر لكنت راعيت تلك الأصـــــول وتحدثت مع من أقيم معهم ·· أما هو فلم يتفوه بكلمة ··

لوسيان : لست فى حاجة الى من يجاذبك أطراف الحديث فبامكانك أن تتحدث وحدك ·

الأب : كانت « جوليا » على وشك أن تموت ، هذا صحيح ، ولـكنها

منذ أمس ، قد اجتازت مرحلة الخطر •• وقلت محدثا نفسى :
لعله سيبذل مجهودا الآن ويحاول الكلام ، ولكنه لم يفعل •

لوسيان : (برفق)
ربما مازال هو فى خطر •

الأب : انى سعيد بأنه سوف يرحل ويجلو عن تلك الديار ، لا أخفيك شعورى • وأنا أفضل أن أتحدث بمفردى ويملء حريتى فعندئذ أكون على راحتى ••

(يسمع صوت موسيقى ينبعث من مكان بعيد • فيصرخ قائلا)
اسكتوا تلك الموسيقى ••

لوسيان : انك تطلب شيئا مستحيلا •

الأب : ربما بدا على الهدوء ولكن أعصابى مشدودة وأكاد أنفجر •
(يجلس ويتربع فى مقعده الوثير ويشعل سيجارا ، يقترب لوسيان من فردريك ويقول)

لوسيان : لم يكن رقيقا ذلك التصرف ، أعنى تلك الموسيقى التى تنبعث من هناك • ان ما تجهله هو انه ، منطقيا ، كان المفروض ألا تصل تلك الموسيقى الى أسماعنا فالقصر بعيد جدا •• لابد أنها طلبت من الموسيقيين أن يعزفوا فى نهاية الحديقة الشاسعة حتى يمكن أن تسمعها • ان حفل العرس على ما يبدو رائع فخم • هناك خمس سيارات تقف أمام بوابة القصر • ان للسيد « آزارياس » علاقات كثيرة بكبار القوم •

الأب : (يقول وهو فى ركنه)
لم يبعثا الى حتى بطاقة دعوة •
(فترة سكون ثم يسأل الأب متظاهرا بعدم المبالاة)

آين يا ترى أوصوا باعداد وليمة الزفاف ؟

لوسيان : ان « بيرون » هو الذى يعدها .

الأب : (فى لهجة الازدراء)

لم يحسنوا الاختيار فان ذلك المطعم لايقدم الا ألوانا مألوفة : كفتة وضلوع من الضأن ودجاج . انى أعرف ألوان هـــذا المطعم وأتخيلها الآن وكأنى آكلها .

لوسيان : اذن ، مم تشكو ؟

الأب : أشكو من ذلك التصرف غير اللائق .

لوسيان : سوف تهضم ذلك « الفصل » أيضا .

الأب : لا لن أنسى أبدا . انى رجل طيب ولـكنى كالفيل لا أنسى الاساءة . لن أعفو أبدا ، أنا أسكت وأخفى ما بى ، والناس يتصوروننى متسامحا كريما ولكنى ، ولو مرت خمسون عاما، أرد الصاع صاعين وأنتقم من حارسى كالفيل .

(ثم يردف)

ثم انه يقدم ألوانا من الجبن ومن المثلجات وفطيرة مصنوعة باللبن وشراب الشمبانيا .. ان ذلك الرجل لايعرف الا قائمة واحدة من الطعام ولا يغيرها أبدا . لو أنهم ســـألونى رأيى لنصحتهم بأن يلجئوا الى مطعم « توماس » .. ليس هناك من يضارع « توماس » فيما يقدمه من ألوان مشهية : عجـــة بأعشاب الـ « ميموزا » وجمبرى مشوى وضلع محشى .. ان ما كان يقدمه لرائع حقا .

لوسيان : يستوى الأمر مادمت لم تدع .

الأب : (فى لهجة من يشعر بجرح دام)
هــذا صحيح ..
(فترة من الوقت ثم يسأل) أتعتقد انه كان فى امكانى أن ألبسها ان كنت دعيت ؟

لوسيان : عم تتكلم ؟

الأب : عن سترتى

لوسيان : دون شك

الأب : كان فى ارتدائى تلك الســترة تشريف لهما . وعلى العمــوم كنت أعرف والد « آزارياس » هذا

لوسيان : وهو الآن يعرف ابنتك . خالصين !

الأب : انت تسخر من كل شىء ولا تأخذ شيئا على سبيل الجد . أما أنا فلن أنسى وسيبقى ذلك التصرف الشائن منقوشا فى ذاكرتى .

(يلمس جبهته . يشتد صوت الموسيقى فينهض ويصيح قائلا)
اسكتوا تلك الموسيقى ..

لوسيان : اسكتها أنت ان أردت .

الأب : ربما أسعدهم أن أطلب منهم هذا ، ولهذا لن أفعل . يمكنهم أن يعزفوا طوال ثمانية أيام متتاليات اذا أرادوا وســوف أتظاهر بأنى لا أسمع شيئا حتى يدرك الموسيقيين التعب. ماذا يمكن أن تكلفهم فرقة موسيقية كهذه فى اليوم الواحد ؟ لابد أن عدد العازفين ستة على الأقل . فاذا تقاضى كل منهم مائة فرنك مثلا ، فلك أن تتصور ضخامة المبلغ الذي ستكلفهم اياه تلك الدعابة السخيفة .
(يخرج الى الحديقة)

لوسيان : (يعـود الى حيث يرقد « فردريك ») كان غرضـها أن نسمع الأصوات التي تنبعث من حفل زفافها وأن تصل الى أسماع « جوليا » وهى راقدة فى سريرها والى أسماع حماتها وهى تعمل بالمطبخ والى أهل القرية بأسرها • لم تكتف برنين الأجراس التى أخذت تدوى فى هـذا الصباح • لا بد أنها تشعر بكراهية لكل من يزدحم بهم الحفل هنـاك ولـكنى أتخيلها وهى وسط هذا الصخب • سوف تدفعهم الى الرقص طوال الليل حتى ينال منهم التعب كل منال •وهى انما تفعل كل ذلك تكريما لنا •

فردريك : سوف تنهض جوليا بعد قليل وسوف نرحل بعد ساعة •

لوسيان : سنحاول من جهتنا أن نخبرها بأمر رحيلكم هذا فربما حصلنا على بعض الهدوء اذ يخيـل الى أن تلك الموسـيقى الصاخبة التى تصل الى آذاننا انما توجهها اليك أنت •

فردريك : ربما

لوسيان : انها تريد التأكد من أنك تتألم فى نفس الوقت الذى تتألم هى فيه فان تلك الصغيرة انما تعبدك ، وقد شاهدت بنفسك كيف دفعتها رقتها الى أن تجرح ذراعها من أجلك • لم أعد أذكر تلك العبارة اللاتينية التى دأبن على أن يعبرن بها عن مثل ذلك العمل ، أعنى عندما دخلت علينا والدماء تسيل منها • ؟

فردريك : اذن لماذا ، لماذا هجرتنى بعد ذلك مباشرة ؟

لوسيان : يا صديقى لا يمكن اصلاحك فأنت تصر على معرفة أسباب كل شىء • ألا تكف عن عادتك السيئة هذه ؟ لن يتمكن كائن

من كان من معرفة تلك الأسباب ولا حتى جانيت ذاتها ٠

(يعود فردريك الى رقاده ويسند رأسه الى الوسائد)

ان هذا يؤلمنا في بادىء الأمر ، أليس كذلك ؟ ونحن نتصور أن ليس في امكاننا احتمال ما يسببه لنا هذا الجرح من عذاب ولو لدقيقة واحدة ، بل ونتصور أن لا بد من أن نصيح وأن نحطم شيئا ما ٠ ولـكن ماذا عسـانا نحطم ؟ لا يمكننا أن نحطمهن ، فليس هذا في مقدورنا ٠ أنحطم قطع الأثاث اذن ؟ ان مثل ذلك العمل يكون مضحكا٠ آن اللحظة التى ندرك فيها أن ليس هناك ما يمكن أن نحطمه، هى اللحظة التى نصبح فيها رجالا ٠ (تمر لحظة ثم يأتى لوسـيان ليجلس بجانبه) فى استطاعتنا أن نحيا على خير وجه مع عذابنا ٠ سوف ترى ، بمجرد أن تتعرف على حقيقة عذابك هذا ٠ سوف تتكشف لك خباياه وأسراره وسوف تتخصص فى معرفة أعراضه وفى التعرف على ما يحتاجه من غذاء يومى أو الى ما يمكن أن يزيد من حدته ٠ بل سوف تصل بك الحال الى التعرف على أبسط الأنفاس التى يمكن أن توقظه من سباته وعلى ألوان الموسيقى التى تدفعه الى الاسترخاء والنعاس ٠ ثم، فيما بعد وبعد مرور وقت طويل ، عنـدما تخرج من عزلتك ، وعنـدما تتمكن من الكلام عن عذابك هذا مع الآخرين سوف تبدأ فى دعوتهم الى زيارته كما يحدث فى المتاحف ٠ اننا نصبح عندئذ حراسا لعذابنا مثلنا فى هـــذا مثل حراس المتاحف الذين يكلفون باصطحاب الزائرين للتفرج على محتوياته والنتيجة هى أننا نهلك على أى حال ولكننا نهلك ببطء ٠

(ينهض فردريك وكأنه يحاول الهروب من « لوسيان » يتجه الى النافذة وينظر خلالها)

لا تتعجل عذابك يا صـــديقى ٠٠ أمامك العمر كله لتتعذب ، ان الشىء الذى يستحق الاعجاب لدى الزوج المخدوع ، هو أن أمامه فسحة من الوقت يمكن أن يتألم فيها على هواه ٠ ولست أعنى بقول هذا هؤلاء الرجال المحدودى الأفق الذين يرتكبون الجريمة عند أول بادرة شك ثم يصوبون مسدساتهم الى رؤوسهم فيخرون صرعى ٠٠ وانما أعنى هؤلاء المخدوعين الفنانين ، هؤلاء العمال المهرة الذين يستهويهم العمل المتقن ، الذى يتمشى مع أصول الفن ٠

(يشتد صوت الموسيقى)

الأب : (يظهر عند الباب الذى يفتح على الشرفة ويقول) هذا بديع فقد أضافوا آلات نحاسية الى فرقتهم ولن نغمض أعيننا طوال الليل ٠

لوسيان : (يقول بلهجة قاطعـة) لم نكن سـنغمضها على أى حال يا أبى ٠

(يعود الأب من حيث أتى ٠ ويقترب لوسيان من فردريك ويقول فجأة بمرارة) لن نغمض أعيننا طوال الليل يا لها من عبارة سخيفة! اننا نتصور أعيننا هذه مفتوحة على الظلام الذى يغمر الغرفة من حولنا ونتصور أنفسنا عاجزين عن اغماضها مهما حاولنا ٠ لكأننا نمسك بأجفانها بكل قوانا ونحاول أن نغمضها ولكن دون جدوى فهى تبقى مفتوحة فى بلاهة لا معنى فيها ٠ أتنام بسهولة أنت ؟

(فردريك يقول وهو يهز كتفيه) نعم

لوسيان : (يقول صائحا)

لن تذوق طعم النوم بعد الآن ٠

فردريك : (يلتفت نحوه فجأة ويقول)
ماذا تهدف من وراء كلامك هذا كله ؟ ماذا تريد ؟

لوسيان : (برفق) أريد النظر اليك وأن أتلهى بالفرجة على عذابك فان هذا انما يهون من عذابى

فردريك : انظر اذا أردت • أهو جميل منظر رجل يتألم ؟

لوسيان : لا ، بل ان هذا لفظيع ، وقبيح جدا • ولكن تفرج المرء على عذابه هو فى المرآة أسوأ من الفرجة على عذاب الآخرين • كنت أقضى ليالى بأكملها أحدق فى صورتى بالمرآة، وفى نظراتى الجوفاء وفى ابتسامة فمى البلهاء • كنت أتفرج على ذقنى وهى ترتعش وكنت أنتظر الساعات الطوال ، كما ينتظر الصائد فريسته لأتفرج على خدى اللذين صفعهما الزمن وعينى لأرى ان كانتاستبكيان ورأس الزوج المغفل المخدوع الذى أحمله على كتفى • ويطيب لى الآن أن أتفرج على رأس غير رأسى أنا •

فردريك : انظر الى بسرعة اذن فأنا لن أنظر طويلا الى رأسى فى المرآة فأنا رجل مكتمل الرجولة وفى الغد ، مهما حدث ، سوف أحيا من جديد •

لوسيان : (يقول فى سخرية) حسنا أيها الشاب ••

فردريك : سوف أجابه الحياة وأعمل • سوف أتزوج « جوليا » • وهناك بيتى الذى سأعيد طلاءه وحديقتى التى يجب أن أستصلح أرضها كما أن هناك كميات من الخشب يجب أن أقطعها استعدادا للشتاء •

لوسيان : (يحاول أن يبثه أسراره بدوره) أما أنا فقد حاولت أن أزاول الألعاب الرياضية • لقد جاءتنى تلك الفكرة اذ تصورت

أن ضعفى وهزالى كانا السبب فى انهيارى • قلت ان هذا يرجع الى عدم مزاولتى التمارين الرياضية بالكرات الحديدية وان تلك الكرات هى التى تصنع الرجال عندما ترفع الى أعلى وتصطدم بالصدور اذ لا نساء لرجال بلا عضلات • وتصورت أن الأمر بسيط واطمأننت أخيرا • ولذا أسرعت الى شراء الكرات الحديدية وكتاب باثنى عشر فرنكا • كان سر السعادة يباع بثمن زهيد كما ترى • وبدأت أزاول التمارين السويدية ، كل صباح ، أمام نافذتى وأنا أرتدى سروالا قصيرا فأبدو ابليسا (شيطانا) أكثر من ذى قبل •

(يأتى ببعض الحركات الرياضية ويقول)

واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة •• واحد ، اثنين ••

(يتوقف فجأة لشعوره بالارهاق)

كذبوان من قالوا هذا الكلام فان تلك الكرات الحديدية لاتأتى بنتيجة • ثم انك اذا نظرت الى صورة مدرس الجمباز على غلاف الكتاب أحسست أنه بالرغم من جسمه القوى المفتول العضل ، لابد أنه زوج مخدوع مغفل بدوره • نصيحتى لك أن تبدأ بالنبيذ الأحمر فانه يساعدنا على أن نصل فى الحال الى نتيجة أفضل •

(يملأ كأسه بالنبيذ ويشربها ثم يقدم كأسا لفردريك ويسأله) هل لك فى كأس ؟

فردريك : لا •

لوسيان : على رسلك • ولكن اعرف ياصديقى أن الأبالسة المحترمين ليست لهم أية امتيازات سوى أنهم يشعرون بعذاب مضاعف• ثم ما معنى أن يكون الرجل ابليسا محترما ؟ هل هناك

مصابون بالسرطان محترمون أو مصابون بالطاعون متأنقون ؟ يجب أن يتلوى الابليس من شدة مغصه وأن يبصق بما فى رئتيه ، يجب أن يصرخ عندما يشتد به الألم وأن يشكو وأن يزعج الناس من حوله • يجب أن يبدو الابليس حقيرا منفرا جبانا حتى تراه السماء وتعرف حقيقة ما فعلته به • أتعرف ماذا فعلت فى يومى الأول ؟ لقد سقطت من على مقعدى ، فجأة ، أثناء العشاء ، وبقيت على الأرض حتى يظنوا أنى مت• ولم آكن أهدف الى شيء بعملى هذا • لقد فعلت هذا لمجرد اشعارهم بالخوف ولكى يحسوا أن هناك شيئا ما قد حدث • وقد أخذوا يمرون بكمادات من الخل على وجهى وحاولوا أن يفتحوا فمى بوضع ملاعق صغيرة بين أسنانى • كنت أسمعهم وهم يروحون ويغدون بينما كنت أتنفس تنفسا طبيعيا • كنت أقول فيما بينى وبين نفسى : لم أمت ولكننى قد أصبحت ابليسا بل لقد شعرت بالرغبة فى أن أبالغ وأن أخلع سروالى وأن أتبول على جدرانهم وأن ألطخ وجهى بالسواد وأن أتجول فى الشوارع واضعا أنفا مستعارا كبيرا من الكارتون حتى يتساءل الناس : ماذا يفعل هذا الشاب بأنفه الكبير هـذا المصنوع من الكارتون ؟ ولكن يا له من سؤال انه لم يفعـل شيئا أيها السادة وكل ما هنالك انه رجل كالابليس لا أكثر ولا أقل •

فردريك : صـه •

لوسيان : أأضايقك يا سيدى ؟ أيفضل سيدى أن أتركه يتألم بملء حريته ، ليتألم فى صمت وكبرياء • أيريد سيدى أن يكون ابليسا من نوع فريد ؟ لا شك ان الأبالسة الذين يظهرون بمظهر قبيح ، وضيع ، من بيئة غير بيئته ، أليس كذلك ؟ لعل سيدى ابليس من صنف ممتاز ! ومع ذلك فنحن اخوة

يا سيدى ، لقد شربنا من نفس الكأس وما دام أحد لا يريد أن يقبلنا فليقبل بعضنا بعضا ٠

(يحاول فى سخرية أن يعانقه بشكل مضحك ولكن فردريك يبعد عنه لغلظه ويقول)

فردريك : ابعد عنى ٠ انك ثمل ورائحة الخمر الكريهة تفوح منك ٠

لوسيان : ربما كانت تفوح منى رائحة النبيذ الكريهة ولكن أيمكن أن تدركنى الثمالة فى الخامسة من بعد الظهر ؟ لا أيها الشاب فان الخمر لا تأتى بمفعول سريع ، شأنها كالكرات الحديدية تماما ، بل ان مفعولها بطىء شديد البطء كل شىء بطىء على هذه الأرض ٠ لا لن تدركنى الثمالة الا فى المساء ، عندما أكف عن الكلام ، عندما يصبح لسانى عفيفا بالذات ٠

(يهتف فجأة)

كان الكونت يحبس نفسه ، كل مساء ، فى مكتبته وكانت الكونتيسة تسمع صوت خطواته فى ساعة متأخرة من الليل وهو يصعد السلم مترنحا ٠ أما أنا فانى أترنح دون سكر انى أفرط فى الشراب حتى تتمكن ساقاى من حملى الى الكونتيسة ، كل مساء ، دون ترنح ٠

(تمر لحظة ثم يضيف)

ولكن ، فى كل ليلة ، تنتظرنى بغرفة الكونتيسة مفاجأة تعسة اذ أجد فيها خيبة أملى بدلا من الكونتيسة ٠

فردريك : (يقول بعد لحظة صمت) أما أنا فلن ألعق عذابى كما يفعل الكلب بجرحه ٠ ليدمى جرحى ماشاء له أن يدمى وبعد ذلك سوف يندمل وينتهى الأمر ٠ ان والدى وأمى وكل أهل قريتى لم يكن لديهم أبدا وقت يمكن أن يضيعوه فى التفكير

فى المهم • كان أولادهم يموتون بأمراض غير معروفة وكانت زوجاتهم تهجرنهم بدورهن ولكن كانت هناك أشـــياء أخرى تشــغل أوقاتهم ولم تكن لتسمح لهم بالاصغاء الى صــوت الشكوى الذى يصرخ فى أعماقهم •

لوسيان : يالأعمال الحقل ! انها كالبلسم •

الأم : (تقول وهى تدخل) لقد نهضت « جوليا » من فراشها • ربما أرهقها السفر قليلا ولكنها على أى حال تفضل الرحيل هذا المساء • انها مثلى ، فلا يشغل تفكيرها الا فكرة واحدة ملحة ، هى الرحيل عن هذه البلدة بأسرع ما يمكن •

لوسيان : عجبا ! ان الاقامة هنا مع ذلك تطيب فى هذا الموسم •

الأم : (تقول لفردريك دون أن تلتفت الى مايقوله لوسيان) أمستعد أنت ؟

فردريك : نعم يا أماه •

الأم : سوف أستدعيك لتساعد « جوليا » على النزول • سوف أعد لها قدحا من القهوة •

(تتجه الى المطبخ)

الأب : (الذى يعود من الخارج ، ينظر اليها وهى تخرج من الحجرة ويبدى تلك الملاحظة) منذ رتبت أدراج حجرة طعامى وهى تعاملنى ببرود • وأنا أتساءل عما يمكن أن تكون قد وجدته بتلك الأدراج •

لوسيان : (يقول فى صوت خفيض لفردريك كمن يكمل حديثه) واذا أمكنك أن تملأ فراغ أيامك ، لو كنت قويا ــ ويبدو لى أنك قوى وأنك سوف تنجح فى ذلك ــ فسوف تبقى لياليك،

تلك الليالى التى يستعرض فيها الابليس ، أثناء نومه ، عذابه بدقة وعناية . لو أنى وجدتها الآن ؟ ولو أنها عادت وأخلصت لى ؟ واذا تمكنت من النسـيان أثناء النهار ، فسوف أبقى ابليسا بالرغم من ذلك حتى آخر ليلة فى حياتى .

(تمر فترة ثم يضيف)

ومع ذلك تلك فرصتى الوحيدة حتى أكون نصف ابليس ومن أجل ذلك مازلت أنتظرها ..

فردريك : هل مر وقت طويل على هذا ؟

لوسيان : عامان . كانت قد رحلت لتشترى جوارب . لقد بدأت أنزعج فعلا لغيبتها ..

فردريك : سوف تنساها ..

لوسيان : لا أيها الزميل . هذا سراب ويجب ألا نقع فى هـذا الخطأ ، ربما اهتدينا الى أخرى ولكننا لا ننسى أبدا .

(ينهض)

وعلى أى حال ، لقد دأب الأبالسة على المبالغة فى التصوير . ليست هى بالذات التى أنتظرها الآن ، وانما رسالة ، رسالة من ساحل العاج عليها طابع جميل أخضر اللون . لقد قيل لى : ان النـاس هناك أشـد سوادا منهم فى أى بقعة أخرى وانهم أقل الناس ذكاء وادراكا . سوف يطيب لى العيش مع الزنوج .

الأب : (ينهض ويتجه اليهما ويقول) كنت أصغى الى كلامكما . لست أفهم ما تعنياه يا أولادى .. ها أنا ذا أراكما تتعـذبان وتتصارعان مع نفسيكما . أما أنا فقد بدت لى الحياة وبدا لى

الحب أبسط بكثير مما تتصورون • ولا تتخيلا أني لم أعرف الحب • فقد كانت لى فى سن العشرين ثلاث عشيقات احداهن كانت زميلتى بادارة التسجيل ، كانت امرأة شقراء تلهب الحواس ، وكنت أريها كل صنوف العذاب ، وخادمة المطعم الذى كنت أتناول فيه طعامى ، وفتاة أخرى من أكبر أسر المدينة • كانت فتاة عذراء منحتنى نفسها وكانت تستقبلنى ، يا صـــديقى فى بيتها كل ليلة ، على بعد خطوتين من غرفة أبويها • كان اسمها يبدأ بحرفى « ج » و « ب » وعفوا ان كنت لم أذكر اسمها بالكامل فهى الآن امرأة متزوجة • لقد تزوجت فيما بعد موظفا كبيرا يعمل بالمحافظة •

لوسيان : لقد عرفتها • ان ظهرها أحدب •

الأب : (وقد ضايقته تلك الملاحظة) كان ذلك العيب يكاد لايرى ، ولم يكن هذا التشويه ليؤثر على جمالها •

لوسيان : لقد كانت قبيحة •

الأب : (يقول مؤمنا) كان أنفها كبيرا ولكن عينيها كانتا رائعتين ، (يقترب منها ويردف)

ثم ما قيمة كل هذا يا صديقى ؟ انى أتكلم فيما بيننا نحن الرجال ، لقد كنت بدورى شابا مليئا بالحيوية ان كل تلك العيوب الصغيرة لا قيمة لها عندى ••

الصغيرة لا قيمة لها عندى ••

(تبدو منه حركة قبيحة)

ويجب كذلك ألا نكون عاطفيين • ليس للحب الا لحظة سعيدة نقضيها ، وبعد أن تزول ، تزول رغبتنا فيه ••

(يأتى هنا بحركة تدل على الترفع والنبل ويضيف)

ولكن حذار ! يجب أن نتصرف فى كل الأحوال برقة وأدب٠ لقد احترمت امرأة طوال حياتى ولكن لم أبال بالباقى ٠ فان اهتمامى بها لم ينسنى أبدا لعب البلياردو والاخوان ٠ لقد رتبت حياتى بطريقه لا تدع لى وقتا للألم ٠ وعلى العموم كان لى مبدأ فى الحياة هو ن أبدأ أنا بقطع علاقتى بهن ، وألا تدوم تلك العلاقة أكثر من ثلاثة شهور وبعد تلك الفترة كنت اصبح صارما لا ألين ولا أرحم كم رأيت بعضهن يبكين كالحيوانات يطاردننى شبه عاريات فى الطرقات ٠٠ كن يتوسلن ويتوعدن ولكنى كنت أصم أذنى وأغمض عينى ٠ وذات مرة طاردتنى امرأة بارعة الحسن ملتهبة العاطفة وكان لها يا عزيزى صدر ناهد بديع ، كنت أقف عند عتبة الباب ورأيتها تهرول الى المطبـــخ وتمســـك مليئة بال « فنيك » وهددتنى بقولها : اذا ما خطوت خطوة فسوف أشربهـــا عن آخرها ولكنى لم أبال وخرجت ٠

لوسيان : وهل شربتها ؟

الأب : أعتقد ذلك ٠ لقد صادفتها بعد ثلاثة أسابيع وكانت شديدة الشحوب وقد جف عودها ولكن كل شىء يصلح فى يوم من الأيام فقد تزوجت جنديا بالشرطة ، وابنها الآن كبر وهو يعمل حلاقا ٠ كيف كنتما تتصوران الحياة اذن ؟ المهم هو ألا تخدعنا أبدا ٠

لوسيان : واذا ما شعرنا بالألم ؟

الأب : (يصيح فى لهجة مخلصة) يجب ألا نتألم ٠ انى أعجز عن فهمكما عندما تتكلمان عن الألم ٠

الأم : (تظهر وهى تمسك بفنجان) هأنذا أحمل اليها فنجانا من القهوة وسوف نرحل بعد ذلك ٠

الأب : سوف نفتقدكم كثيرا أيتها الحماة الجميلة ٠

الأم : ان الفرصة سريعة فقد أكد لى « شارل » الحوذى أننا سنصل قبل العشاء فلن تستغرق منه الرحلة أكثر من ثلاث ساعات، لقد أحضر معه غطاء ولكنى أخشى أن تشعر « جوليا » بالبرد عند اقتراب المساء ٠ سوف أحمل غطاء آخر معى وسأعيده اليكم طبعا ٠

الأب : (يقول فى لهجة الأسياد العظام) أيتها الحماة ان هذا البيت بما فيه ملك لك ورهن اشارتك ٠

الأم : سوف يتم الزفاف فى الميعاد المحدد ولكن « جوليا » تعتقد مثلما أعتقد أنه بعد كل ما حدث ، من الأفضل ألا ندعو أحدا٠

الأب : (يبدى حركة استياء) ولكن الأسرة ٠٠

الأم : تفضل « جوليا » ألا تحضرا هذا الحفل كلاكما ٠

الأب : (الذى يعجز عن فهم ما تعنيه) من تعنين بقولك : كلاكما ؟

الأم : أنت وأخوها

الأب : (فى لهجة الاستغراب والدهشـــة) ومع ذلك يا سيدتى ، فالأب ٠٠

الأم : ان عم « فردريك » هو الذى سيصطحبها الى الكنيسة ، فهى لا تريد الآن الا أن تكون لها أسرة واحدة ٠

الأب : (وقد تنـــازل عن كبريائه) ولكني قد فصلت لى سترة للسهرة خصيصا لـ ٠٠٠

(لا تجيبه الأم على ملاحظته هذه ٠ ويصرخ لوسيان فجأة ويقول لأبيه)

لوسيان : يا أبى . لو تزوجت زنجية ، هناك بين الأحراش ، سوف أدعوك . وسوف يكون الحفل رائعا فالجميع سيكونون عرايا وستكون أجسامهم مصبوغة بالسواد وسوف تفوح منهم روائح كريهة تزكم الأنوف ، وسوف تكون الوحيد فى الحفل الذى يرتدى سترة السهرة . والعرق يتصبب منك ، أثناء الموكب. سنكون بدورنا محترمين ، ونحن بدورنا سنشعر بأننا فى مجالنا يا أبى ، اذ لن يكون هناك الا زنوج .

الأب : (يأتى بحركة درامية كما يحدث فى مسرحيات شكسبير ويقول وهو يتأهب للخروج) لم يعد لى أولاد .

لوسيان : الى أين تذهب ؟

الأب : الى مشرب « بروسبير » . اقرضنى عشرين فرنكا .

لوسيان : بل انى أعطيك خمسين فرنكا يا عزيزى الملك « لير » لتشرب بها حتى الثمالة فان الموقف انما يقتضى ذلك .

(تنظر الأم اليهما أثناء خروجهما وتهز كتفيها ثم تصعد من جديد الى حيث ترقد « جوليا » يبقى فردريك بمفرده . وفجأة تظهر « جانيت » على عتبة البـــاب وهى ترتدى ثوبهـــا الأبيض . تبقى لحظة متسمرة فى مكانها وتنظر اليه ثم تقول برفق عندما يراها فردريك فينهض للقائها)

جانيت : نعم ، لقد تزوجت وارتديت ثوبا أبيض حتى أكيد القرية بأسرها ، ثم كان لابد لى من استعمال ثوبى هذا .

(فترة صمت . لا يجيبها فردريك . ثم تسأل)

أتتزوج فى الشهر المقبل كما حددت من قبل ؟

فردريك : نعم .

جانيت : أما عنى فقد تم زواجى فعلا ٠

(صمت)

جميل أن تتم الأمور وتصل الى خاتمتها ، جميل أن تنتهى فترة التساؤل فيصبح المرء عاجزا عن الرجوع الى الوراء ٠ هذا هو السبب الذى دفعنى الى أن آتى اليك لأودعك ٠

فردريك : اذهبى عنى ٠

جانيت : (بصوت رقيق) لا تقل هذا بتلك القسوة ٠ لقد ذهبت بدون رجعة والى الأبد ٠ وأنا أكلمك فى تلك اللحظة من مكان سحيق ، من آخر الدنيا ٠ أما لقاؤنا هذا فهو للحظة واحدة ، وهى لحظة اضافية كالتى يمنحها القدر أحيانا بعد القاء الزهر وبعد أن يتقرر المصير ٠ ان قطارينا قد بدآ يسرعان وهما يلتقيان الآن للحظة قبل أن يضاعفا من سرعتهما فى الاتجاه العكسى ٠ وتلك ابتسامة أخيرة يحيى بها كل منا الآخر من نافذة القطار ٠

(لحظة صمت ثم تقول)

بل ليست حتى ابتسامة ٠

فردريك : لا ٠

جانيت : كم تأخذ الأمور على محمل الجـــد ٠ ألا تعرف حتى كيف تحاور الحياة ؟

فردريك : لا ٠

جانيت : أنا بدورى أشعر بالألم ولـكنى أحاورها ٠٠ وهنـاك فى حفل الزفاف أمرح وادفع المدعوين الى الشراب والى الرقص ولا يكف أصدقاء زوجى عن احاطتى بعبارات المديح والشكر٠

زوجى هو الوحيد الذى يتكهن بما هناك والذى يشعر بالخوف •

فردريك : ومم يخاف ؟

جانيت : انه يبدو كرجل كسب ورقة اليانصيب ولكنه يشك فى أنه الكاسب •

فردريك : هل ستجعلينه يتألم بدوره ؟

جانيت : لقد تم ذلك فعلا •

فردريك : أتجدين تسلية فى تلك اللعبة ؟

جانيت : لا أبالى بألمه فأنا لا أعرفه •

فردريك : وفى هذا الصباح ، أعلنت على الملأ أنك زوجته •

جانيت : هذا ما تتصور الناس سماعه ، ولكنى لم أقل شيئا من هذا القبيل • لم أقل فى صباح اليوم للقس ولهذا الرجل الآخر الذى يتشح بوشاح الجمهورية اننى ألازم شريكى فى السراء وفى الضراء والى الأبد بل قلت انى أرفضك فى الحياة وفى الممات • نعم ان هذا غريب حقا • لقد صرخ القس فى الكنيسة ووجه الى هذا السؤال : يا آنسة « جانيت موران » أتوافقين على ألا تتزوجى أبدا السيد « فردريك لايفير » ؟ ولم يلتفت أحد ولم يشعر أحد بما فى تلك العبارة من غرابة وخروج على التقاليد بذكر اسم رجل غريب فى تلك المراسيم • وفى مقر البلدية كذلك لم يفزع أحد لرؤية ذلك الحفل المضحك وهذا السيد البدين الذى يتشح بالوشاح ذى الألوان الثلاثة وتلك المقاعد الوثيرة المعدة لحفلات توزيع الجوائز وذلك الزوج الذى ألبسوه كما يلبسون الثور الذى يسوقونه

ليقدم كقربان على مذبح الضحية ، نعم لم يفزع أحد من رؤية كل ما كان يحدث هناك ، لا لشيء الا لأقسم أمام نفسي على ألا أدين لك بالطاعة أبدا أو على ألا أتبعك أبدا ٠

فردريك : ان الشيء الصحيح في كل ذلك هو ما سمعه الآخرون لا ما سمعته أنت ، فأنت قد ارتبطت الى الأبد برجل آخر ٠

جانيت : لا ، ليس هذا صحيح ، بل الصحيح هو اني قد انفصلت عنك أنت الى الأبد ٠ وذلك بدوره قسم كان الأحرى بالكنيسة أن تنص عليه في مراسيمها ، قسم خاص بعلاقتنا بالآخرين ، قسم الهجران ٠

(يسود الصمت ٠ ينظر كل منهما الى الآخر وهو يقف في مواجهته ٠ ثم تقول في صوت خفيض) ٠

فردريك : نعم ٠ ان تلك الأيام الثمانيـة قد قضيتها في تسـلق سفح عذابي شبرا بعد شبر وكنت أسقط في كل مرة في الهاوية ٠ أما الآن فقد وصلت الى قمة السفح والعرق يتصبب من جبيني والدم ينزف من أظافري وسوف أحاول ألا أسقط ثانية ٠

جانيت : ان قمة السفح بعيدة جدا ٠

فردريك : بل هي قريبة ، ولكنها مع ذلك بعيدة ٠٠ أنت على حق

جانيت : لقد جئت أيضا لأطلب صفحك عما سببته لك من ألم ٠

فردريك : (تبدو منه حركة ويقول) لا تبالي

جانيت : هل عدت الى استراحة الغابة في الليل ؟

فردريك : نعم ، عدت بمجرد أن أكد الطبيب أن الخطر الذي يهدد حياة « جوليا » قد زال عنها ٠

جانيت : وهل انتظرتني بالاستراحة ؟

فردريك : لقد انتظرت عودتك حتى الصباح ·

جانيت : (بعد فترة ، تقول) كان الأجدر بي أن أترك لك رسالة ·

فردريك : ربما (ثم يسأل بعد فترة)عندما خرجت من الاستراحة مع أخيك كان هناك رجل يقف خلف الباب أكان هو ؟

جانيت : نعم

فردريك : وهل دخل بمجرد رحيلنا ؟

جانيت : أنا التي ناديت عليه ·

فردريك : ولماذا فعلت ذلك ؟

جانيت : لأخبره انى قررت أن أصبح زوجته لو كان ما يزال يرغب في ·

فردريك : وهل قررتما الزواج في الحال ؟

جانيت : نعم ، بل لقد تحايلنا على ما يجب أن نعمله لاختصار فترة اعلان الخطوبة المنصوص عليها ولكن تلك الأمور يسهل ايجاد حل لها في المدن الصغيرة · كنت على عجلة مع اننى كنت أتمنى أن تكون هنا يوم زواجى ·

فردريك : كل شيء قد سار على أحسن وجه وسوف نرحل بعد ساعة ·

(صمت قصير)

ولم يبق أمامى الا أن أتمنى لك السعادة

جانيت : (برفق) أتمزح ؟

فردريك : كنت أتمنى أن تكون لى القدرة على المزاح اذ يبدو لى أن الضحك شيء جميل

جانيت : هذا ما يقوله الناس

فردريك : (يصرخ فجأة) ولكن مهما حدث سوف أضحك • أقسم لك أني سأضحك ، ربما باكر أو بعد عام أو بعد عشرة أعوام ولكنى على أية حال سـأضحك يوما • ان الأطفال ، عندما يبدءون فى الكلام لابد أنهم سيقولون شيئا مضحكا أو ربما شعر الكلب الذى سنشتريه ليلعب به أولادنا بالخوف من ظل يمر بفناء البيت ، أو ربما ضحكت بدون سبب ، ربما ضحكت ذات يوم تشتد فيه الحرارة فجأة ، يوما تسطع فيه الشمس فوق البحر فأشعر بالرغبة فى الضحك •

جانيت : نعم ، سوف تضحك •

فردريك : مازلت أشعر بالألم • ولكن سوف يصادفنى يوم جديد، يوم لن يحمل وراءه أى ذكرى ، أنهض فيه مع شروق الشمس ، يوم ستعود فيه الأشياء الى ما كانت عليه ، كل شيء فى مكانه ، وسوف أتعرف ، وكأنى أستيقظ من حلم كئيب ، على بيتى القائم عند نهاية الشارع وقد أعيد طلاؤه وعلى منضدتى السوداء بالقرب من نافذة مكتبى وعلى الساعات التى تمر رتيبة فى ظل تلك الكنيسة التى تمتد على جنبات الميدان وعلى ابتسامة « جوليا » الحانية وكأنها الماء العذب تشع فى أرجاء بيتى فى المساء سوف أصادف يوما أعود قويا كما كنت من قبل ، يوما لن تكون فيه الكائنات والأشياء التى تحيط بى مجرد أسئلة جوفاء وشك وعذاب وانما وشكا وعذابا اجابات واضحة ويقينا واطمئنانا •

جانيت : نعم يا حبيبى

فردريك : أواه ! كم من أسئلة وجهتها فى تلك الأيام الثمانية ·
ولكنى الآن أنتظر من الأشياء أن تتكلم من تلقاء نفسها ان
تقول لى الأحجار الساخنة : هأنتذا ترى لقد جاء الصيف ،
ولذا تشتد حرارتى وان يقول المساء الذى يخيم على السكون
فى رفق ، ان يقول وهو جالس فى هدوء على مقعده أمام
بابى : هأنذا قد جئت بما أحمله بين طياتى من تغريد
الطيور فاطمئن ، وأن يقول الليل الساكن من بعده : لاتقلق
بالك ولا تفكر فقد جئتك أنا بالهدوء والسكينه لست أريد
أن أتساءل عن شيء بعد الآن ·

جانيت : (تقول فى لهجة رقيقة بعد صمت) كم تحب من أشياء
فى دنيانا هذه ! سوف تجيبك جميعا ذات يوم · صبرا ،
سوف تجيبك ذات يوم · أما أنا فانى أكره المساء وأكره
الهدوء والسكينة كما أكره الصيف ولن أنتظر شيئا ·

فردريك : (يسألها فجأة دون أن تبدو منه أية حركة) لم لم أجدك
عندما عدت الى استراحة الغابة فى الليل ؟

(تبدر من جانيت حركة تدل على السأم ولا تجيبه)

كنت قد ربطت منديلى حول جرحك : كنت قد احتضنتك بين
ذراعى وكنت قد قلت لك « سوف أثق فيك دواما » وكنت تقولين
انك تحبيننى ··

جانيت : (تقول بعد فترة بصوت ضعيف) كان يجب ألا تتركنى
وحيدة ·

فردريك : كانت جوليا معرضة للموت ·

جانيت : نعم وكان ذهابك شيئا منطقيا وعملا كريما ولكن تلك

اللحظة بالذات كانت اللحظة بل الثانية فى حياتنا التى لا تصبح فيها الأعمال المنطقية الكريمة أعمالا عادلة ·

فردريك : كانت « جوليا » قد حاولت الانتحار بالسم بسببنا نحن ·

جانيت : نعم · ربما كنت سأقول لنفسى قبل تلك اللحظة أو بعدها ، ربما كنت سأقول بدورى « يا لجوليا المسكينة » · وربما كنت سأنتظر عودتك وأصبر طوال الليل ، وأن أسعد بفكرة أن تعود الى فى الصباح مطمئن البال · ولكن حظنا العاثر قد أراد أن يحدث ما حدث فى تلك اللحظة بالذات التى كان يجب ألا تتركنى فيها ·

فردريك : ولكن ما معنى هذا ؟

جانيت : (تقول وهى تبتسم فى حزن) عادتك أن تستوضح معنى كل شىء · أتتصور أنى أعرف معنى لما حدث ؟ ان كل ما أعرفه هو انى فى تلك اللحظة فى تلك الثانية بالذات ، كنت كالطائر الذى يتأهب وهو على فرع فى أعلى الشجرة ليطير أو ليبنى عشه ·

فردريك : ولكنك كنت تحبيننى أليس كذلك ؟

جانيت : نعم كنت أحبك ومازلت أحبك ·

فردريك : ولكن مجرد دخول ذلك الرجل كان كافيا ليقضى على كل شىء ؟

جانيت : لا ، يا للمسكين ! انك تخلع عليه كثيرا من الصفات وتحيطه بهالة ·· أنا التى ناديت على هذا الرجل · ولما دخل كان كل شىء بيننا قد انتهى ·

فردريك : ما الذى انتهى بيننا ؟ .

جانيت : أعرف اللحظة بالذات التى انتهى فيها كل شىء . لم تكن قد خرجت من الحجرة . ان تلك اللحظة كانت عندما كفت ذراعاك عن ضمي وعندما شعرت بها تتخاذل من حولى .

فردريك : ولكن ما الذى انتهى ؟

جانيت : (تقول وهى تغمض عينيها) ها أنت تستجوبنى كما فعلت يوم لقائنا الأول . هكذا تستجوبنى من جديد كالقاضى .

فردريك : (وقد أمسك برسغها) ما الذى انتهى ، أصر على معرفة ما انتهى بيننا .

جانيت : (فى رفق) لا تتصور أنك وأنت تؤلمنى هكذا سأتمكن من ايجاد الكلمات المناسبة ، ان تلك الذراع هى الذراع المجروحة وأرجوك أن تتركها .

(يرفع يده عن ذراعها)

أحاول أن أشرح لك الأمر وأبذل قصارى جهدى ولكن أنا بدورى أجد عناء فى شرح كل هذا . ان ما انتهى بيننا ، اذا أردت ، هو ذلك اليقين الذى أحسست به ، فى دخيلة نفسى، من اننى قد أصبحت أقوى من أمك ، وأقوى من « جوليا » وأقوى من نساء روما ، ومن أنى قد أصبحت أهلا لك أكثر من غيرى من النساء . كنت منذ لحظة قد تعمدت أن أجرح ذراعى عندما أطلقتها فى زجاج النافذة وكنت أنظر الى دمائى وهى تنزف منه وأشعر بالفخار . ولو أنك طلبت منى أن أقفز من النافذة أو أن ألقى بنفسى فى النار لما ترددت لحظة. كان فى امكانى أن أبقى بجانبك ، مجردة من كل شىء . وأن

أخلص لك . ولكن الشيء الوحيد الذى لم يكن فى امكانى تحمله هو ألا أشعر بلمسة يديك على جسمى .

فردريك : ولم لم تصرخى ؟ لم تركتنى أخرج ؟

جانيت : كان الأوان قد فات . ان تلك اللحظة بالذات التى شعرت فيها بيدك وهى تبتعد عنى ، هى اللحظة التى شعرت فيها بأنى لم أعد أقوى من غيرى من النساء . لكأن هوة عميقة فتحت من تحتى وهويت فيها . وشعرت فجأة بعجزى التام . بل قبل أن ترفع ذراعيك عنى تماما وقبل أن تهم بالخروج شعرت بأنى لم أعد أقوى النساء وانى أصبحت أقلهن ثقة فى نفسى وأقل الفتيات أهلا لك . وحتى لو أردت أن أستبقيك بجانبى وأن أناديك لعجزت .

فردريك : وهل فكرت فى أنى سأعود ؟

جانيت : نعم . ولكن انتظار عودتك نفسه كان عملا غير شريف ، اذ شعرت فى تلك اللحظة بأنه لم يعد عندى شيء حقيقى يمكن أن أمنحك اياه ، كما لم يكن فى امكانى أن أصبح عشيقتك ثم أكذب عليك كما أفعل مع الآخرين . فلو أنى فعلت ، لكانت « جوليا » سواء عاشت أو ماتت ، أقوى منى وأقوى تأثيرا عليك . ولو أنى فعلت ، وبعد أن نشبع رغبتنا ــ وسرعان ما تشبع تلك الرغبات ــ لكان موقفنا نحن الاثنين موقفا مؤلما حقا .

فردريك : كان فى امكانك أن تهربى بدلا من أن تستدعى ذلك الرجل .

جانيت : (تسأل) أكنت أهرب بمفردى ؟

فردريك : نعم .

جانيت : أنا عاجزة عن أن أبقى بمفردى · ثم أضف الى ذلك أنى كنت واثقة من أن « جوليا » لن تموت وانك سوف تتزوجها آخر الأمر ، ولذا أردت أن أتزوج فى الحال وأن أكون البادئة بالزواج ·

فردريك : ولمــاذا ؟

جانيت : لكى أؤلمك ·

فردريك : (بعد برهة) هأنذا أتألم ، أراضية أنت ؟

جانيت : لا ، فكل مرة تتألم فيها أتألم معك · وكل جرح أسببه لك أشعر أنه يؤلمنى أنا ، وفى نفس المكان · ولو أنه تسبب فى موتك لمت فى نفس اللحظة ·

(صمت)

فردريك : (يصرخ فجأة) أواه ! آه لو أنى لم أعرفك أبدا · كان للعالم شكل من قبل ، شكل جميل أو قبيح وكان للأشياء من حولى مكانة واسم وكان كل شىء بسيطا أما الآن فأنا أصغى اليك ولكننى عاجز عن التفكير بطريقتك ، وأيا كان عذابك ، سواء كان عذابا صبيانيا أم عذابا كاذبا فانى لا أطيق تحمله·

جانيت : (تتمتم) نعم فعذاب الآخرين ثقيل ينوء به كاهلنا ·

فردريك : ماذا يمــكن أن أفعله حتى لا تزوغ نظرتك كمــا تفعلين الآن؟ ماذا يمكن أن أفعله حتى أتمكن من التنفس ومن العيش غدا دون نظرة العتاب تلك التى تنبعث من أعماقى ؟ لو أنى عرفت ماذا يمكن أن أفعله حتى ولو بدا لى أن هذا العمل يتنافى مع مبادئى ومع المنطق فانى فاعله ·

جانيت : (فى رفق) لم يعد هناك شىء يمكن أن نفعله ·

فردريك : أريد أن أصدقك وأن أفهمك بكل قواى ، أرجوك ان تحاولى من ناحيتك وأن تخطى خطوة بدورك • ان فرصتنا فى الحياة ، كلانا ، لم تكن على أى حال متوقفة على تلك اللحظة التى تخاذلت فيها ذراعاى من حولك ، ان هذا المنطق صبيانى •

جانيت : (نبتسم وتقول) كم يختلف كل منا عن الآخر ياحبيبى ! حقا ان تلك الفرصة لم تكن الا فرصة صغيرة جدا ، فرصة لن تسنح الا لمرة واحدة ، وللحظة قصيرة جدا •

فردريك : (يصيح من جديد ويقول) أوه ! ان نظرتك حزينة • لست أطالبك بأن تكونى منطقية مثلى • كل ما أطلبه منك هو ألا تحبسى نفسك فى تلك المملكة الصغيرة السوداء التى لا يمكن لأحد أن يلحق بك فيها • أشعر بأنى عاجز عن انقاذك بيدى الغليظتين القويتين كما أشعر بأن سرك انما ينساب بين يدى كالماء • ولكن ربما أمكنك أن تحاولى شرح الأمر لى على أى حال حتى ان عجزت عن فهمه بوضوح • هناك ألعاب يتعلمها الناس ولغات يتعلمها الأغبياء دون أن يحاولوا فهم قواعدها • سوف أتعلمها بدورى •

جانيت : (تبتسم) لا

فردريك : انى قوى وصبور ومتواضع • ولست على أى حال الشخص الوحيد فى هذا العالم الذى سأعجز عن انقاذه • ان مصدر قوتى وكيانى ذاته لم يعد لهما قيمة فى نظرى الآن

جانيت : أتتصور انى سأقبل الآن أن أجرك ورائى وأن يبقى محياك هادئا أو عابسا متجعدا حسبما يتراءى لنزواتى ،

وكـــل رذائلى القبيحة تموء من حولى كالقطط الشرسـة ؟ لم أعد ذلك الجندى الصغير الذى ارتضى أن يجرح ذراعه فى ذلك المساء • هل تتصور انى ساقبل أن أخونك يوما كمـا تفعل الأخريات ، دون ما سبب ، وأن تعفو عندما تبدو التعاسة ويبدو الأسـف على وجهى حتى أعاود فعلتى من جديد ؟ انى أفضل الموت على خيانتك •

(يسود الصمت من جديد • يقف كل منهما فى مواجهـة الآخر وكلاهما لا يأتى بحركة ثم تردف بلهجة جادة)

لقد جئت بالذات لأخبرك بكل هذا • ان ذلك المسـاء الذى وعدت فيه الرجل بالزواج ، استسلمت له فيه • هأنذا أعود ضعيفة وجبانة ، كما كنت من قبـل • لقد عدت من جديد مثالا للكذب والفوضى والكسل • لقد عدت كما كنت مثالا لكل ما تبغض ولم يعد فى امكانى أن أصبح زوجتك ، أبدا •

(تتوقف لحظة ثم تضيف بصوت ضعيف)

ولكن ان كنت تصر ، وحتى يدوم ما كان بيننا الى الأبد ، فان ما أستطيع عمله فى هذا المساء هو أن أموت معك •

(يسود الصمت ثم يجيبها فردريك فى قسوة دون أن ينظر اليها)

فردريك : لا • ان هذا يكون جبنا فظيعا ، بل يجب أن نعيش ••

جانيت : (برفق) أنعيش بتلك البقـع وكل ذلك الشـطب على صفحة حياتنا حتى تدركنا الشـيخوخة وقبحها ، وحتى نهلك أخيرا فى فراشنا ذات ليلة والعرق يتصبب منا ونحن نتألم ونتصارع كالوحوش ؟ البحر أفضـل بأمواجه النظيفة التى تغسل كل شىء •

فردريك : لا (صمت • ثم يقول)

البحر غير نظيف بآلاف الجثث الملقاة فى أعماقه • والمـــوت بدوره ليس مخرجا فهـــو عاجز عن حـــل أية مشكلة بل هـــو يشوهنا عندما يحاول القضاء علينا ولا يترك وراءه الا تلك الصورة البشعة التى يدركها العفن ، يترك وراءه ذلك الشيء الفظيع المخجل الذى لا يدرى الناس أين يخفونه • ان الأطفال وحدهم ، هؤلاء الذين لم يسهروا الليـــل بالقرب من جثث الموتى ليزينوها بالأزهار، الأطفال وحدهم هم الذين يتصورون أن الموت يدركنا عند أول تجعيدة وعند أول ألم • ولكن يجب أن تدركنا الشـــيخوخة ويجب أن نخرج ذات يوم من عالم الطفولة ولن نقبل ألا يكون كل شيء بنفس هـــذا الجمال الذى كنا نتصوره فى الصغر •

جانيت : لا أريد أن تتقدم بى السن ولست أريد أن أتعلم كيف أتقبل كل شيء • فان كل ذلك قبيح غاية القبح •

فردريك : ربما • ولكن تلك البشاعة وكل تلك الأعمال التى نقوم بها بلا هدف ، تلك المغامرة المضـــحكة ، كل ذلك انما هـــو حياتنا • وحياتنا يجب أننحياها • والموت بدوره لا معنى لـــه •

(تعود الفرقة الموســـيقية الى العزف •• وتقـــول جانيت فى صوت رقيق)

جانيت : اذن سأعود لأستأنف الرقص • لا بد انهم ينتظروننى هناك

(تصرخ فجأة) اعذرنى واعف عنى اذ جئت •

(تختفى وهى تجرى فى الحديقة • تظهر « جوليا » فى نفس اللحظة تتبعها • الأم • لم يتحرك فردريك من مكانه)

جوليا : أمستعد أنت يا فردريك ؟

فردريك : (يراها ، ويجيبها بعد لحظة قصيرة ، قصيرة جدا) نعم •

جوليا : أتعتقد أن فى امكاننا أن نرحل ؟

فردريك : تعالى •• (يتجه اليها ليساعدها على النزول)
ألا تخشين أن تصابى بالبرد فى العربة •

الأم : انى أحمل غطاء ثانيا من أجلها •

فردريك : لن نمر بقصر « بو » بل سنختصر الطريق ونتجه الى المستنقعات فالطريق قد أعيد رصفه أمس • سوف نصل الى البيت قبل الليل •

الأم : ان أباك وأخاك كان يمكن على أية حال أن ينتظرا بالبيت يا صغيرتى لوداعك • أتعرفين أين هما الآن ؟ انهما بالمشرب •

جوليا : هذا أفضل فانى أفضل ألا أراهما ثانية •

(يعبرون الحجرة وهم يتكلمون • يتوقف فردريك عند عتبة الباب وينظر مرة أخيرة الى الحجرة وهو يفسح مكانا لتمر منه جوليا ، ويقول بلهجة آلية)

فردريك : مرى يا جوليا • ألم تنسى شيئا هنا ؟

جوليا : (تقف وتسأله فجأة) وأنت ألم تنس شيئا ؟

فردريك : (يجيبها ببساطة وهو ينظر الى الأفق البعيد) لم أحمل شيئا معى عند حضورى يمكن أن أنساه •

(لقد خرجوا جميعا • يظهر لوسيان من طيات الظلام بالمطبخ وكأنه شـــيطان •• يصرخ وراءهم كالمعتوه ويقـوم بحركات مضحكة لوداعهم • وهو واقف على أريكة أمام النافذة ويلقى اليهم بالزهور) •

لوسيان : لتحيا العروس • أتمنى لكما كل سعادة • لتحيا العروس -

الأب : (يقول أثناء دخوله) أرأيتها ؟

لوسيان : من ؟

الأب : جانيت

لوسيان : أين ؟

الأب : هناك ، على الحصى •

(يمسك به الأب ويديره • ينظر لوسيان ولا يقول شيئا)

الأب : (وهو ينظر الى الخارج) ماذا تفعل ؟

لوسيان : تريد الاستحمام •

الأب : وهى بثوبها •

لوسيان : نعم بثوبها •

الأب : ولكن البحر هائج وهو فى حالة مد •

لوسيان : نعم هو فى حالة مد •

الأب : انها لا تتبين ، انها اذا سارت فى ذلك الاتجاه سوف يجرفها البحر •

لوسيان : انها تعرف الخليج خيرا منك •

الأب : (يصيح) أوهو ! جانيت ! أوهو ! جانيت ! يا الهى !

لوسيان : (برفق) انها تجرى وهى لا تسمعك فالريح شديدة • وحتى لو سمعتك فهى لن تسمعك • انها هالكة لا محالة ياأبى • ان أختى الصغيرة هالكة لا محالة •

الأب : ماذا تقول ؟ أتعتقد أن ..

لوسيان : انى متأكد .

الأب : (وهو يجرى فى أنحاء الحجرة) يا الهى ! يجب أن نفعل شيئا . لابد من أن نفعل شيئا . تعال . احضر حبالا سوف نطلب النجدة من القصر .

لوسيان : (وهو يوقفه) لا .

الأب : كيف لا ؟

لوسيان : قلت لك ألا تفعل شيئا . اتركها وشأنها . أولا ، لقد فات الأوان ، ثم انك سوف تؤدى لها خدمة ان لم تفعل شيئا .

الأب : (وهو يفلت من بين يديه) أنت شيطان . سوف ألحق بها عن طريق الغابة الصغيرة .

لوسيان : هيا ، الحق بها . سيفيدك هذا الجرى ويمرن عضلاتك ثم سوف يكون المنظر من هناك أقل بشاعة مما نراه من هنا .
(يخرج الأب ويعود فى الحال ويقول وهو يصيح) جميل ! جميل ! انه فردريك . لقد رآها وهو فى الطريق ، لقد قفز من العربة هيا ! هيا ! هذا رجل بمعنى الكلمة . لقد سلك طريق الحصى من الكوبرى الصغير . ها هو ذا يسلك الجزر والماء يصل الى ركبتيه . لن يجتاز المسافة .

لوسيان : (يقترب ويقول برفق) سوف يجتازها .

الأب : هاهو ذا يجتازها . لقد اجتازها فعلا . تشجع . هيا ! هيا! هيا ! برافو أيها الشاب يا له من رياضى بارع . هيا . هيا .. هيا !

لوسيان : (يتجه اليه فجأة ويصرخ فيه قائلا) صه • أتتصور نفسك فى مباراة لكرة القدم ؟

الأب : ماذا تقول ؟ كرة القدم ؟

لوسيان : ان شكلك يصبح قبيحا جدا عندما تصرخ • قلت لك أسـكت •

الأب : (متعجبا) ولكنى والدك •

لوسيان : (قد أمسك به من ياقة سترته وكأنه يوشك أن يضربه • يهزه بعنف ويقول) أعرف ذلك • ولكنك فى غاية التفاهة وفى غاية القبح ، أتسمع ؟ تعترينى أحيانا لحظات لا أطيق فيهـا أن تكون أبا لى • وأنا أشعر فى تلك اللحظة بهذا الشعور • اذن صه أسمعتنى ؟ اسكت والا ضربتك •

الأب : (وهو ينظر الى فردريك على بعد ، يصيح وهو يتخلص من قبضة ابنه) لقد لحق بها • لقد لحق بها • ابعد يدك عنى • اذا جريا نحو اشارة القطار فسيجتازان منطقة الخطر فالبوغاز انما يدور قبل أن يدركا الاشارة وتتبقى دائما مسـاحة من الرمال هناك • ان جانيت تعرف تلك الحقيقة ، انها تعرفهـا بالتأكيد انها فرصتهما الأخيرة •• ولكن مالهما لا يجريان يا الهى ! ماذا يفعلان هناك ؟ لماذا لا يجريان ؟

لوسيان : هأنتذا ترى ما يفعلان • انهما يتحدثان •

الأب : ولكن هـذا جنون • ان كليهما مجنون • ألا يسرع أحـد ليحذرهما ؟ أما أنا فطاعن فى السن ولا تسعفنى ساقاى • ليس هذا وقت الحديث بحق الشيطان •

(يصيح بشكل مضحك وهو ينفخ بين يديه اللتين يمسك بهما على شكل مكبر للصوت لكى يسمعاه)

لا تتكلما • لا تتكلما •

لوسيان : (برفق) صه والا خنقتك • اتركهما يتحدثان • اتركهما وشأنهما • أتركهما يتحدثان ما استطاعا الحديث فان لديهما أشياء كثيرة يريدان التكلم فيها •

(يحبس الأب والابن أنفاسهما وينظران وكل منهما يتعلق بالآخر)

لوسيان : (يقول فجأة) والآن هأنتذا ترى ما يفعلان ، أيهاالمتفائل العجوز ، أترى ما هما فاعلان ؟ انهما يتعانقان والبحر يرتطم تحت أقدامهما• لم تعد تفهم معنى لكل هذا، أليس كذلك أيها الدون جوان العجوز ، أيها الفاشل العجوز ، أيها الابليس العجوز أيتها الخرقة البالية ؟

(يهزه بعنف وبدون رحمة)

الأب : (يصرخ ويحاول أن يتخلص منه ويصيح قائلا)

المد • المد • يا للشيطان •

(يصرخ فيبدو مضحكا عاجزا وهو يقول) احذرا مد البحر •

لوسيان : انهما يسخران من بحرك ومن مده ، كما يسخران من صيحاتك ومن جوليا ومن أمهما اللتين تنظران اليهما الآن كما يسخران منا جميعا • ان كليهما بين ذراعى الآخر ولم يعد أمامهما الا دقيقة واحدة ليتعانقا فيها •

الأب : (يفلت أخيرا ويصيح أثناء خروجه) لا يمكن أن أبقى مكتوف اليدين • سوف ألحق بهما عن طريق الجمرك •

لوسيان : لقد أصبت . ولكن لا تبلل قدميك بالماء .

(لوسيان بمفرده ينظر على بعد الى البحر . انه متسمر فى مكانه . ثم يقول فجأة فى صوت مبحوح)

لوسيان : أيها الحب ، أيها الحب التعس ، أسعيد أنت بما فعلت ؟ يا للقلب العزيز يا للجسد الغالى ، يا للمأساة العاطفية . ألم تعد هناك حرف يشغل بها الناس أنفسهم ، وكتب يقرءونها وبيوت يبنونها ؟ أليست الشمس جميلة بدورها عندما تلفح أديمنا ، أليس النبيذ جميلا وهو فى الكأس ، والماء وهو ينساب فى الجدول ، والظل فى الظهيرة ، والنار فى الشتاء ، والجليد والمطر والريح والأشجار والسحب والوحوش وكل الحيوانات البريئة والأطفال قبل أن تدركهم الحياة بقبحها ؟ أيها الحب التعس ، اخبرنى بالله ، أليس كل شيء سواك جميلا أيضا ؟ (يدور على عقبيه فجأة وكأنه يتهرب مما يراه ، يتجه الى المائدة ويملأ لنفسه كأسا من النبيذ ويقول فى رفق وهو ينظر الى سقف الحجرة)

أيرضيك هذا أيتها السماء ؟ كان لابد من أن يحدث هذا كما تكهنت . كنت حذرتهما وأخبرتهما انك لا تحبين تلك اللعبة .

(تمر لحظة . ثم يملأ كأسا أخرى ويقول)

عفوا يا الهى ولكننى أشعر بالظمأ .

(يبتلع كأسه فى جرعة واحدة . يظهر ساعى البريد على عتبة الباب مرتديا معطفه القاتم اللون ويقول)

ساعى البريد : أيها الأولاد ـ أيها الأولاد .

لوسيان : (يهجم عليه ويقول) أهى لى أخيرا ، فى هذه المرة .

(ينتزع الرسالة من بين يدى الرجل العجوز ويفض غلافها بأيد مرتعشة ثم يلقى نظرة على الخطاب ويدسه فى جيبه • يتجه الى المشجب ويأخذ حقيبته وقبعته)

الساعى : (بينما لوسيان يحمل متاعه) اذن •

لوسيان : (يلتفت اليه ويقول برفق) لم يعد هنا أولاد • وداعا أيها الساعى •

(يضرب على كتفه فى حركة ودية ويقتحم الظلمات ولا يلتفت• يبتلعه الليل • تنزل الستار)

ستـــار

رقم الايداع بدار الكتب ٤٨٥٦/١٩٧١

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المركز الرئيسى ١١١٧ شارع كورنيش النيل – القاهرة – ج.ع.م.
تليفون : ٧١٠٥٥ /٧١٠٥٨ تلغرافياً : بانشرو

الادارة العامة للتوزيع : ١٧ شارع قصر النيل – القاهرة – ج.ع.م.
تليفون : ٤٥٥٨٩ /٤٧٤٣٦

مكتبات القومية للتوزيع فى ج . ع . م .

القاهرة

٣٦ شارع شريف ت : ٤٠٠١٢ — ١٩ شارع ٢٦ يوليو ت : ٥٥٠٣٢
٥ ميدان عرابى ت : ٤٦٣٨٣ — ٢٢ شارع الجمهورية ت : ٩١٤٢٢٣
١٣ شارع المبتديان ت : ٢١١٨٧ — الباب الأخضر بالحسين ت : ٩١٣٤٤٧

الاسكندرية : ٤٩ شارع سعد زغلول ٢٢٩٢٥ — الجيزة : ١ ميدان الجيزة ت: ٨٩٨٣١١
دمنهور : شارع عبد السلام الشاذلى ٢٦٠٥ — المنيا : شارع ابن خصيب ت:٤٤٥٤
طنطا : ميدان الساعة ٢٥٩٤ — اسيوط : شارع الجمهورية ت:٢٠٣٢
المحلة الكبرى : ميدان المحطة ٤٢٧٧ — اسوان : السوق السياحى ت: ٢٩٣٠
المنصورة : أول شارع الثورة ٣٨٦٤

مراكز التوزيع خارج ج . ع . م

لبنان : الشركة القومية للتوزيع – بيروت – شارع سوريا بناية أبناء صمدى وصالحة
العراق : الشركة القومية للتوزيع – بغداد – ميدان التحرير – عمارة فاطمة

توكيلات وعملاء دائمين خارج ج . ع . م

الكويت : وكالة المطبوعات ٢٧ شارع فهد السالم بالكويت
الاردن : مكتبة المحتسب – عمان
ليبيا : محمود عارف الشويهدى – طرابلس
اندونيسيا : عبد الله محمد العيدروس – جاكرتا
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – تونس
الجزائر : ٩٢ شارع ديدوش مراد بالجزائر العاصمة
المغرب : المركز الثقافى العربى للنشر والتوزيع ٤٢ – ٤٤ الشارع الملكى – الاحباس – الدار البيضاء
هولندا : مكتبة بريل – ليدن

الهيئة المصرية العامة للكتاب
فى خدمة القارئ العربى

